حقيقة الخلاف بين الصحابة

في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم



تأليف
الدكتور علي محمد الصلابي

دار ابن الجوزي
القاهرة


منتدى إقراء الثقافي

حقيقة الخلاف بين الصحابة

في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم

تأليف

الدكتور علي محمد الصلابي





١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٣٨٠٧٥



جمهورية مصر العربية - القاهرة
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٩٠٣
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٦٢٠
E-mail: dar_ebnelgawzy@yahoo.com

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، أما بعد..

فإن هذا الكتاب فصل من كتاب «سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره»، ورأيت نشره منفردًا وذلك لأهميته ولتعم الفائدة، ونتحدث فيه عما وقع بين الصحابة ﭫ من خلاف في معركتي الجمل وصفين وحادثة التحكيم، وذلك في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﭬ وقد سميت هذ الكتاب: حقيقة الخلاف بين لصحابة في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم.

وتحدثت المشاكل الداخلية في عهد عليٍّ ﭬ، فتحدثت عن معركة الجمل مبتدئًا بالأحداث التي سبقتها وعن أثر التنظيم السبئي في اندلاعها، ودور عبد الله بن سبأ في إذكاء الفتن الداخلية، وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان، وعن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عثمان، وبينت موقف معتزلي الفتنة، كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين وأسامة بن زيد ومن سار عن نهجهم، وتكلمت عن موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين عليٍّ، وعن محاولات الصلح قبل اندلاع معركة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولته الأولى والثانية، واستشهاد طلحة والزبير، ومبايعة أهل البصرة لعليٍّ ﭬ، وعن موقف عليٍّ ﭬ من أم المؤمنين عائشة وكيف عاملها واحترمها وقدرها وردها إلى المدينة معززة مكرمة، وأشرت إلى فضائلها وشيء من سيرتها، كما ترجمت للزبير وطلحة ﭫ لكونهما من

الشخصيات المؤثرة في عهد النبوة والخلافة الراشدة وفي عهد أمير المؤمنين عليٍّ، ودافعت عنهما دفاعًا عن الحق لكونهما ظُلما، فبينت فضلهما ومكانتهما في الإسلام، ورددت على الشبهات والأكاذيب التي ألصقت بهما من خلال إثبات الحقائق الناصعة، والحجج الدامغة، وصفاتهما الرفيعة، وأخلاقهما الكريمة، بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقية -لا لبس فيها ولا غموض- لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة، والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن ترجمة عائشة، أو طلحة والزبير، أو غيرهم من كبار الصحابة، الذين ساهموا في الأحداث التي وقعت في عهد أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ ينسجم مع منهجي في دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره، والشخصيات التي أثرت في ذلك العهد ملتزمًا في طرحي بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلًا، أصولًا وفروعًا.

هذا، وقد تحدثت عن معركة صفين، ودوافع معاوية ﷺ في عدم البيعة، والمراسلات التي تمت بينه وبين علي ﷺ، ومحاولات الصلح، ونشوب القتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمار بن ياسر ﷺ وأثره على المسلمين، وعن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعاملة الأسرى، وعدد القتلى، وترحم أمير المؤمنين علي ﷺ على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام.

ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت لسيرة أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ﷺ، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية والموضوعة التي ألصقت بهما في حادثة التحكيم، وأشرت إلى كيفية الاستفادة من قصة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية. وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب، وحذرت من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان، ككتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب زورًا لابن قتيبة، وكتاب «الأغاني» للأصفهاني، و«تاريخ اليعقوبي»، و«المسعودي» وغيرهم من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المستشرقين في تحريف التاريخ الإسلامي وتزويره وتشويهه، وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض، وكيف أسسوا مدرسة معارضة ساهمت في تلويث الأفكار، وتحريف الوقائع وطمس الحقائق، وتوسيع النقاط السوداء في تاريخنا مع المبالغة والتهويل تحت شعارات براقة، كالبحث العلمي النزيه، والواقعية، والموضوعية والحياد، وتبنَّى تلك الأفكار التدميرية مجموعة من أبناء المسلمين؛ ينتمون للإسلام، لا يحسنون فهمه، ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنه، بل تورطوا في شباك أعداء الإسلام الذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمة وحضارتها التي صنعها دينها العظيم.

ونرجوا من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه وسلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد الصَّلابي

معركتا الجمل وصفين
وقضية التحكيم

قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي؟ قال: فانطلق إليه، وركب حمارًا، وانطلق المسلمون، وهي أرض سبخة[١]، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، قال: فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحًا منك، قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنِّعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[٢].

وعن الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فإن الله سبحانه أمر النبيَّ ﷺ والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حُكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبي منهم أن يجتنب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾، أي: إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح والدعوة إلى حكم الله، والإرشاد وإزالة الشُّبهة وأسباب الخلاف، والتعبير بـ«إن» للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها للوجوب[٤].

وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تُخرج من الإيمان، خلافًا للخوارج القائلين بأن مُرْتكب الكبيرة كافر وهو في النار، وثبت في صحيح البخاري عن

(١) أرض سبخة هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.
(٢) البخاري، رقم ٢٦٩١، مسلم رقم ١٧٩٩.
(٣) التفسير الصحيح، حكمت البشير (٤/ ٣٦٩).
(٤) التفسير المنير للزحيلي (٢٦/ ٢٣٧).

أبي بكرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ خطب يومًا، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[١]، فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التي وقعت بينهما[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾، أي: فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله، وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ أي: رجعت الفئة الباغية في بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء في الحكم بينهما إن الله يحب العادلين، ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور[٣].

قال ﷺ: «**إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُوا**»[٤].

ثم أمر الله تعالى بالإصلاح في غير حال القتال، ولو في أدنى اختلاف فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾، فهذه الآية أصل من الأصول التي تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم[٥].

إن الله تعالى لم ينف صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كلتيهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين الصحابة الكرام، سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بتطبيق هذه الآية من حرص على الإصلاح، وقد استجاب طلحة والزبير لذلك، إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبوا الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله، وحرص أمير المؤمنين علي الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما في وسعه، من طرق سلمية، وجرَّد سيفه بعد فشل كل المحاولات

---

(١) البخاري، رقم (٧١٠).
(٢) التفسير المنير (٢٦/٢٣٨).
(٣) التفسير المنير (٢٦/٢٣٨).
(٤) مسلم: الإمارة - حديث رقم (١٨٢٧).
(٥) سورة الحجرات، د/ ناصر العمري (٣٠٥).

الإصلاحية لكي يفيء معاوية ﷺ إلى السمع والطاعة، ووحدة الخلافة الإسلامية، إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان ﷺ، فاجتهد وأخطأ، وكان الحق مع أمير المؤمنين علي ووقع القتال.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فأثبتت الأخوة الإيمانية لجميع المقاتلين من المسلمين، ومن باب أَوْلَى ما وقع بين علي وطلحة والزبير ﷺ في الجمل، وما وقع مع معاوية في صفين، ومن هنا يظهر لنا أن المقاتلين في الجمل وفي صفين مؤمنون، ولا مجال للطعن في الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية، أو محاولة نزع الإيمان عنهم، أو نشر العبارات المنحرفة في حقهم، ويكفي في الردّ على تلك المقولات الباطلة أن هذه الآيات أثبتت لهم أخوة الإيمان، وسيأتي بيان ما وقع بينهم -بإذن الله تعالى- بالتفصيل.

فقد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد، وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين أمر الله تعالى بالتقوى، والمعنى: فأصلحوا بينهما، وليكن رائدكم في هذا الإصلاح وفي كل أموركم تقوى الله، وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخوين، فإنهم إخوانكم، والإسلام سوَّى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي[1].

وقد جعلت الآية الكريمة الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تعظيمًا لأمر الإصلاح بين المسلمين[2]، ويلاحظ أنه قال: اتقوا الله عند تخاصم رجلين، ولم يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين، لأنه في حالة تخاصم الرجلين يُخشى اتساع الخصومة، وأما في حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكل[3]، وكلمة (إنما) للحصر تفيد أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين المؤمن والكافر؛ لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتفيد أيضًا أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الأخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذميًا أو مستأمنًا وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونُصرته مطلقًا إن كان خصمه حربيًا[4].

وقد قال ابن العربي: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوَّل الصحابة، وإياها عني النبي ﷺ: «تقتل عمارًا الفئة الباغية» [أي: عمار بن ياسر]أي: أن الأمر بقتال البُغاة فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولذلك تَخلَّف قوم

---

(١) التفسير المنير (٢٦/ ٢٣٩).
(٢) منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحريري: ص(١٦).
(٣) التفسير المنير (٢٦/ ٢٣٩).
(٤) التفسير المنير (٢٦/ ٢٤٠).

من الصحابة ﷺ عن هذا الأمر، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم[1] أمير المؤمنين علي، وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سَرد الوقائع التي حدثت بين الصحابة -بإذن الله تعالى-.

ويُعدُّ نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله نظامًا له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التي حاولتها في كل تجاربها الكسيحة، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل والمطلق؛ لأن الاحتكام فيه إلى أمر الذي لا يشوبه غرض ولا هوى، ولا يتعلق به نقص أو قصور[2]. ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى تُوِّج بالصلح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن بن علي ﷺ.

(١) المصدر السابق (٢٦/ ٢٤٢)، أحكام القرآن (٤/ ١٥٠).
(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٤٤).

المبحث الأول
الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان ﷺ سببًا في حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان ﷺ، منها:

الرخاء وأثره في المجتمع، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده، مجيء عثمان بعد عمر، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة، وقد تم تفصيل تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المنَّان في سيرة عثمان بن عفان»[1].

إن عثمانَ ﷺ كان الناس يحبونه حبًّا عظيمًا؛ لحسن سياسته ولمكانته من رسول الله ﷺ وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتى سُمِّي بذي النورين، فهو من الصحابة الكبار الذين بُشِّروا بالجنة، ولقد تعرض للظلم في حياته من بعض الغوغاء، وكان في استطاعته أن يقضي عليهم؛ ولكنه امتنع خوفًا من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد ﷺ، فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء، وأحب أن يقي المسلمين بنفسه، ولذلك كان مقتله سببًا لحدوث كثير من الفتن الأخرى ألقت بظلالها على الأحداث المتالية من الفتن، ولقد كان مقتله عظيمًا على المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد من مكانته وبراءته مما نُسب إليه مواقف الصحابة من قتله، فقد أجمع الجميع على براءته واتفقوا على الأخذ بدمه إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية، وهذا ما سيأتي بيانه، بإذن الله، ونحب أن نُسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عمومًا:

أولًا: أثر السبئية في إحداث الفتنة

١- السبئية حقيقة أم خيال:

حقيقة عبد الله بن سبأ: أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي؛ وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة في

---

(١) عثمان بن عفان للصَّلاَّبي ص (٣١١-٣٤٠).

الأخبار، علمًا بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر عبد الله بن سبأ ليس من بين رواتها سيف بن عمر، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند[١]، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم، وليس فيها عمر هذا، لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ[٢] ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين، وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم، وهي محاولتهم الفاشلة لتبرئة أصل مذهبهم من مؤسسة الحقيقي كما أجمع القدماء جميعهم بمن فيهم الشيعة.

وتجدر الإشارة أن من أنكر عبد الله بن سبأ من المحسوبين على أهل السُّنَّة هم ممن تأثروا وتتلمذوا على أيدي المستشرقين فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل؟ وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفِرَق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق، لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنِّحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة، ودور ابن سبأ فيها لم يكن قصرًا على تاريخ الإمام الطبري، واستنادًا على روايات سيف بن عمر التميمي فيه، إنما هي أخبار متشرة في روايات المتقدمين، وفي ثَنَايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي وآراء الفرق والنِّحل في تلك الفترة، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلًا لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر حتى بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها سيف بن عمر كما أسلفنا، إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء وتزيف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضربًا من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحًا والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟[٣]، وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السُّنَّة كثيرًا منها:

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان[٤] المتوفى عام (٨٣هـ)، وقد هجا المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فرَّ مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

---

(١) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، للعودة ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٢٨٤) ذكر تفصيلات مهمة، وكذلك عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للعودة.

(٣) دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٧٠).

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث الهمداني، المعروف بأعشى همدان.

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف[١]

وهناك رواية عن الشعبي المتوفى عام (١٠٣هـ / ٧٢١م) تفيد كذب عبد الله بن سبأ[٢]، وتحدث ابن حبيب[٣] المتوفى عام (٢٤٥هـ/ ٨٦٠م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات[٤]، كما روى أبو عاصم خُشيش بن أصرم المتوفى سنة (٢٥٣هـ)، خبر إحراق علي ﷺ لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة[٥]، ويعتبر الجاحظ[٦] المتوفى سنة (٢٥٥هـ) من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ[٧]، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروي الدكتور جواد على[٨]، وخبر إحراق علي بن أبي طالب ﷺ لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد[٩]، ولفظ الزندقة ليس غريبًا عن عبد الله بن سبأ وطائفته.

ويقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ[١٠].

ويقول الذهبي: عبد الله من غُلاة الزنادقة، ضال مضل[١١].

ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غُلاة الزنادقة... وله أتباع يُقال لهم السبئية، معتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته[١٢].

ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى (٣٥٤هـ): وكان الكلبي -محمد بن السائب الإخباري- سبئيًا، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن عليًا لم يمت، وأنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة... وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[١٣].

كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية إلى عبد الله بن سبأ، وهم الغلاة من الرافضة، وابن سبأ أصله من اليمن، كان يهوديًا وأظهر الإسلام[١٤]، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها، وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره[١٥].

---

(١) ديوان أعشى همدان: ص ١٤٨.
(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٩/ ٣٣١).
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٧).
(٤) عبد الله بن سبأ للعودة ص ٥٣، المحبر، ابن حبيب، ص ٣٠٨.
(٥) تذكرة الحُفّاظ (٢/ ٥٥١)، شذرات الذهب (٢/ ١٢٩).
(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٠).
(٧) البيان والتبيين (٣/ ٨١).
(٨) تحقيق مواقف الصحابة (٨/ ٢٩٠).
(٩) عبد الله بن سبأ للعودة، ص ٥٣.
(١٠) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨٣).
(١١) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٢٦).
(١٢) لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٣٦٠).
(١٣) المجروحين من المحدثين، أبو حاتم (٢/ ٢٥٣).
(١٤) الأنساب (٧/ ٢٤).
(١٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٢٩٨)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص ٥٤.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨هـ) أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتداع ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في علي وادعى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له[١]، ويشير الشاطبي[٢] والمتوفى عام (٧٩٠هـ) إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله -تعالى- وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[٣]، وفي خطط المقريزي المتوفى عام (٨٤٥هـ)، أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علي مُحدِّثًا القوم بالوصية والرجعة والتناسخ[٤].

وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ، فقد روى الكشي عن محمد بن قولوية، قال: حَدَّثني سعد بن عبد الله قال: حَدَّثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فُضالة بن أيوب الأزدي، عن أبان بن عثمان قال: سمعتُ أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، أنه ادَّعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبدًا طائعًا، الويل لمن كذب علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم[٥]، والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحة[٦].

وفي كتاب الخصال أورد القمي الخبر نفسه، ولكن موصولًا بسند آخر، وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سبأ على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[٧]، وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تُدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره[٨].

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لَبْسَ فيها في المصادر السُّنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضًا عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن[٩]، وفان فولتن[١٠]، وليفي ديلافيد[١١]، وجولد تسيهر[١٢]، ورينولد نكلسن[١٣]، وداويت رونلدس[١٤]. على حين يبقى ابن سبأ محل شك أو مجرد خُرافة عند فئة قليلة من المستشرقين

---

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٣٥).
(٢) إبراهيم بن موسى، محمد الغرناطي توفي عام (٧٩٠).
(٣) الاعتصام (٢/ ١٩٧).
(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (٢/ ٢٥٦، ٢٥٧).
(٥) رجال الكشي (١/ ٣٢٤).
(٦) عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة، لمحمد على المعلم، ص ٣٠ .
(٧) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة، ص ٦٢ .
(٨) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة، ص٦٢ .
(٩) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن، ص ١٧٠ .
(١٠) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، ص ٨٠ .
(١١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢١).
(١٢) العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسيهر، ص ٢٢٩ .
(١٣) تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية، ص ٢٣٥ .
(١٤) عقائد الشيعة، ص ٥٨ .

أمثال: كيتاني وبرنارد لويس[١]، وفريد لندر المتأرجح[٢]، علمًا بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن يستقرئ المصادر، سواء القديمة أو المتأخرة، عند السُّنَّة والشيعة، يتأكد له بأن وجود ابن سبأ كان وجودًا تؤكده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرجال والأنساب، والأدب، واللغة، وسار على هذا النهج كثير من المحققين والباحثين والمحدثين، يبدو أن أول من شكَّ في وجود ابن سبأ المستشرقون، ثم دعَّم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده البتة، وبرز من الباحثين العرب المعاصرين من أعجب بآراء المستشرقين، ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء جميعًا ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته، والاستناد إلى مجرد الهوى والظنون والفرضيات[٣]، ومن أراد التوسع في معرفة المراجع والمصادر السُّنية والشيعية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ فليراجع تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمحزون، وعبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

٢- دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان ﷺ بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة[٤]، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة، كعامل من عواملها، على أنه أبرزها وأخطرها، إذ إن هناك أجواءً للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساعدته، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادَّعاها واخترعها من قِبَل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، وهو الدَّس في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدَّت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ وتفرق الأمة شيعًا وأحزابًا[٥].

وخلاصة ما جاء به أن أتى بمقدمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية لبَّس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتأوله على زعمه الفاسد حيث قال: لَعجَب ممن يزعم أن

(١) أصول الإسماعيلية، ٨٦ .
(٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣١٢).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣١٢).
(٤) مثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).
(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢٧).

عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[١].

كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعلي ﷺ بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء[٢]، وحينما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان ﷺ، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصيِّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوا إلى هذا الأمر[٣]، وبث دعاته، وكاتب من كان في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السرِّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسترون غير ما يبدون، فيقول أهل مصر: إنَّا لفي عافية مما فيه الناس[٤].

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصبًا وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس -خاصة في الكوفة- على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علمًا بأنه ركز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقرَّاء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيَّج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان؛ مثل: تحيزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حَرَّك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان ﷺ مع براءته، ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية؛ لأن تصديق ذلك من

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٣٤٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥/٣٤٧).
(٣) المصدر السابق (٥/٣٤٨).
(٤) المصدر السابق (٥/٣٤٨).

الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[١]، هذا وقد شعر عثمان ﷺ بأن شيئًا ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشر، فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها[٢].

على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان ﷺ، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصي رسول الله ﷺ يقصد[٣] عليًا، وقد غشهم بكتب ادَّعى أنها وردت من كبار الصحابة حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعًا، حيث تبرءوا مما نُسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان[٤]، ووجدوا عثمان مقدرًا للحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افتراءهم وفَسَّر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك بن الأشتر النخعي: لعله مُكر به وبكم[٥].

ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيِّج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها[٦]، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتآمرين وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم، ويروي ابن كثير أن أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر[٧].

إن المشاهيرَ من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ويوقع بينهم الفرقة والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكوَّنت به الطائفة السبئية المعروفة التي كانت عاملًا من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وما ترتب على قتله من فتن كمعركتي الجمل وصفين وغيرهما.

والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيمًا، إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أم في الكوفة أم في مصر، مستغلة العصبية القبلية، ومتمكِّنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفه بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون[٨].

---

(١) الدولة الأموية، يوسف العشي: ص١٦٨، مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٠).

(٣) المصدر السابق(٥/ ٣٤٨)، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣١).

(٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٨).

(٧) البداية والنهاية (٧/ ١٦٧، ١٦٨).

(٨) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/ ٣٣٩).

ثانيًا: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين علي ومعاوية لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين علي وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قَطُّ فضل عليّ واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان(١).

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدَّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليًا وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا(٢)... وقال أيضًا: ... وكل فرقة من المتشيعين مقرة مع ذلك بأن معاوية ليس كفئًا لعلي بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي، فإن فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم(٣).

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحًا في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين علي موافقًا من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يُرجئ الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة(٤).

قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نُصرته، وقتال الباغي فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه(٥).

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٦٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).
(٤) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص١٥٨ .
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

ثالثًا: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة ﵂ جميعًا، وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريبًا، أي في ربيع الآخر من عام (٣٦هـ)[١]، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة ﵂ للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئًا لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خَذَلوا الخليفة وأنه لا تكفير لذنبهم هذا -حسب قولهم- إلا الخروج للمطالبة بدمه، علمًا بأن عثمان هو الذي نهى كل من أراد أن يدافع عنه في حياته تضحية في سبيل الله، فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلومًا والله لأطالبنَّ بدمه[٢]، وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه[٣]، والزبير يقول: نُنهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يَبْطل، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدًا، إذا لم يُفطم الناس عن أمثالها لم يبقَ إمام إلا قتله هذا الضرب[٤].

فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلًا بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى؛ فَشيَّعة أولاده بالبكاء وسُمي يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيًا على الإسلام، أو باكيًا له من ذلك اليوم[٥].

لقد توافرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم، ومن هذه العوامل:

- أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة.

- **ومنها**: أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان - كان في مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية.

- **ومنها**: أن يعلي بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة، وقد قتل الخليفة ومع من المال والسلاح والدواب شيء لا بأس به، فعرض كل ذلك للمساعدة في قتل قتلة عثمان، فكان هذا كفيلًا لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قَتَلة عثمان.

وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدءون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها فقال بعضهم -على رأسهم السيدة عائشة-: إن المدينة هي

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٩).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧)، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع، ص٤١٧.

وجهتهم، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معًا ضد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل قَرَّ رأيهم على البصرة؛ لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم؛ ولأن الشام صار مضمونًا لوجود معاوية، ومن ثَمَّ يكون دخولهم البصرة أولى في هذه الخطة؛ لأنها أقل البلدان قوة وسلطة، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم[١]، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم، أو أثناء طريقهم، أو عند وصولهم إلى البصرة وهي: المطالبة بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله[٣]، وأنه إذا لم يؤخذ على أيدي قتلة عثمان ﷺ، فسيكون كل إمام معرضًا للقتل من أمثال هؤلاء[٤].

وأما الطريقة التي تصوروها فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يُضيقوا الخناق على قاتلي عثمان الموجودين في جيش علي فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا[٥].

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة التي ظهرت للناس كثأر لعثمان ﷺ، وكأنه رجل من عوام الناس قُتل، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره، رغم كونه حدًّا من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة، وقتله بالصورة التي تمت، كان فوق ذلك، ومعه اغتيال لصفة شرعية هي «الخلافة» التي يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به[٦]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين[٧].

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان، وأصبحت ذات شوكة لا يُستهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد، فلقد بات واضحًا عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة ﷺ، أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش علي، وأنه لأجل ذلك فإن عليًّا ﷺ يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثَمَّ فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٤٧٦)، دراسات في عهد النبوة، ص٤١٨.

(٢) تاريخ الطبري (٥/٤٨٩).

(٣) دراسات في عهد النبوة: ص٤١٩ .

(٤) تاريخ الطبري (٥/٤٨٧).

(٥) دراسات في عهد النبوة: ص٤١٩ .

(٦) مقدمة ابن خلدون: ص(١٩١).

(٧) دور المرأة السياسي: ص(٣٩١).

وهو هدف لا نشك أن عليًّا كان يسعى إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعلي تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية في تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعي تام منهم بأساليب السبئية في اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال، فكان لا بد من مواجهتها في ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبيَّن هذا العمل واضحًا، وصريحًا في الروايات الصحيحة[١]، التي تحدثت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها عن أهداف هذا الخروج، فروى الطبري أن عثمان بن حنيف -وهو والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- أرسل إلى عائشة رضي الله عنها عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنية الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر؛ فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره[٢].

وروى ابن حبَّان أن عائشة رضي الله عنها كتبت إلى أبي موسى الأشعري -والي عليّ على الكوفة-: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمرّ من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[٣].

ولما أرسل عليٌّ القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس[٤].

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء عليٌّ إلى عائشة رضي الله عنها، فقال لها: غفر الله لك. قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح[٥]. فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رد على

---

(١) دور المرأة السياسي: ص(٣٩٤).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٩).
(٣) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٢).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٠).
(٥) شذرات الذهب (١/ ٤٢).

من طعن في عائشة ﵂ من الشيعة الرافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعًا، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين -عائشة- في خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير[(١)].

قال ابن تيمية في الردّ على الرافضة في هذه المسألة: فهي ﵂ لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك، كما سافر في حجة الوداع بعائشة ﵂ وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ يحججن بعده كما كنَّ يحججن معه، في خلافة عمر ﵁ وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهنَّ لمصلحة جائزًا، فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك[(٢)].

ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد[(٣)].

وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها:

١- هل أكرهت السيدة عائشة على الخروج؟

زعم اليعقوبي أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج[(٤)]، وقال بهذا القول صاحب الإمامة والسياسة[(٥)]، وابن أبي الحديد[(٦)]، وكذلك فعل الدينورى[(٧)]، وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله بن الزبير[(٨)] -ابن أختها أسماء- وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل[(٩)]، فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج، وزاهية قدورة[(١٠)] وغيرهما، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة

---

(١) الانتصار للصحب والآل: ص(٤٤٤).
(٢) منهاج السُّنَّة (٤/ ٣١٧- ٥٧٠).
(٣) أحكام القرآن (٣/ ٥٦٩، ٥٧٠).
(٤) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٨٠، ٢٠٩).
(٥) الإمامة والسياسة (١/ ٥٨، ٦٩).
(٦) شرح نهج البلاغة (٩/ ١٨).
(٧) الأخبار الطوال: ص(١٤٥).
(٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٣).
(٩) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين: ص (٥٢٦).
(١٠) عائشة أم المؤمنين: ص (١٨٤).

بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله ﷺ وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنه قد روي أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي، فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردَّني أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعزُّوا الإسلام. فكان عبد الله أول من أجابها[١]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مرَّ على مقتل عثمان أربعة أشهر[٢].

٢- هل كانت متسلطة على من معها؟

كان فيمن خرج معها ﷺ جمع من الصحابة[٣]، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت -كما زعم بروكلمان[٤]، ولقد أكدت روايات الطبري تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها[٥]، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يُستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم[٦]، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون[٧]، وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعًا من السفهاء والغوغاء والأوباش[٨]، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم[٩].

وسيأتي بيان ذلك أنه لم يكن خروجًا غوغائيًا، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين، بل كان خروجًا واعيًا شارك فيه بعض الصحابة الكبار[١٠].

٣- موقف أزواج النبي ﷺ من الخروج للطلب بدم عثمان:

كانت أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج في هذا العام فِرارًا من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قُتل أقمن بمكة، وكُنَّ قد خرجن منها فرجعن إليها، وجعلن ينتظرن ما يصنع الناس ويتحسسنَّ الأخبار، فلما بُويع عليّ خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين[١١]،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).
(٢) دور المرأة السياسي: ص (٣٨٣)، تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٩).
(٣) المصدر السابق، ص(٣٨٤).
(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية: ص (١١١، ١١٤، ١١٧).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).
(٦) تاريخ الطبري نقلًا عن دور المرأة السياسي: ص(٣٨٥).
(٧) تاريخ الطبري نقلًا عن دور المرأة السياسي: ص(٣٨٥).
(٨) انظر ما قاله صاحب الإمامة والسياسة (١/ ٥٧).
(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٥٧٤).
(١٠) دور المرأة السياسي، ص(٣٨٥).
(١١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).

وكانت بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على السير إلى المدينة، فلما اتفق رأي عائشة ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة [١].

كان الخروج في أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهنَّ اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة، غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر ﵄ وافقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم [٢] عليها أخوها عبد الله كي لا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجًا عن اقتناع منها [٣]، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها [٤]. وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمه ﵂ لم تكن ترى رأي عائشة ومن معها في الخروج إلى البصرة، وأنها كانت ترى ما يراه علي [٥]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى عليٍّ ابنها عمر بن أبي سلمه قائلة: والله لهو أعز عليَّ من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك، فخرج فلم يزل معه [٦].

وهي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون عليًا ﵁ أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح [٧]، وكانت أمهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنى الفرض الكفائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهًا إلى جميع المكلفين، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به، لا على الجميع عمومًا، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوافرة تمامًا في السيدة عائشة: مكانة وسنًّا وعلمًا وقدرة، وكانت عائشة أكثرهن فقهًا بإجماع جمهور المسلمين [٨]، كما أنها كانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم، ومن عيشها في بيت رسول الله ﷺ الذي خرجت منه أُسس سياسة الدولة الإسلامية، ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين، وقد أكد العلماء هذه المكانة للسيدة عائشة، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قَطُّ كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ولا بسُنَّة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا.. ولا بقضاء، ولا بطب منها [٩].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).

(٢) عزم عليها: أقسم عليها.

(٣) دور المرأة السياسي، ص (٣٨٦).

(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).

(٥) أنساب الأشراف (٤/ ٢٢٤).

(٦) أسد الغابة (٤/ ١٦٩)، الإصابة (٤/ ٤٨٧)، دور المرأة السياسي ص (٣٨٧)، المستدرك مرويات أبي مخنف، ص (٢٥٧).

(٧) دور المرأة السياسي: ص(٣٨٧).

(٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).

(٩) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).

وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة[١]، وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء بعدهم. . . فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا[٢]. هذا وقد خرج أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة والتشجيع لها على أمرها[٣].

٤- مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب:

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صحيحة؛ فعن يحيى بن سعيد بن القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم أن رسول الله ﷺ قال لأزواجه: «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب»[٤]. ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفظ شعبة: أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب»، فقال لها الزبير: أترجعين؟ عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس[٥].

وبهذا اللفظ أخرجه يعلي بن عبيد عن إسماعيل، وهو عند الحاكم[٦]، وقال الألباني: إسناده صحيح جدًا وقال: صححه من كبار أئمة الحديث: ابن حبَّان، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر[٧]. فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيف[٨] التي سيأتي بيانها.

إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أيٍّ منها ما يدل على نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمرَّ على ماء الحوأب؟ والروايات الدَّالة على النهي، والتي بها لفظة إياك في الأثر الوارد: «إياك أن تكوني يا حميراء»[٩] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الأثر البعيد على السيدة عائشة نفسها بحيث تفكر جديًا في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعي لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٨٥).
(٢) المصدر السابق (٢/ ١٨٣).
(٣) دور المرأة السياسي، ص(٣٨٩).
(٤) مسند أحمد (٦/ ٩٧).
(٥) مسند أحمد (٦/ ٩٧).
(٦) المستدرك (٣/ ١٢٠).
(٧) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٦٧) رقم ٤٧٤ .
(٨) دور المرأة السياسي: ص(٤٠٥).
(٩) قال الذهبي: كل حديث فيه يا حميراء لا يصح، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٧، ١٦٨).

يكون «ظنًّا» منها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عَبَّرت عنه حين قالت: ما أظنني إلا راجعة وهو ظن لم يتلبث إلا يسيرًا ثم عاد هدفها واضحًا بعد ما ذَكَّرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين[١]، لقد كانت وما زالت مسألة ماء الحوأب[٢]، والأحاديث المذكورة فيها مجالًا خصبًا للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها -في زعمهم- لنهي الرسول ﷺ لها عن أن تَرِد ماء الحوأب، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري، قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع[٣].

ويروي الفزاري هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قاله ابن حجر والنسائي[٤]، وهو يروي هذا الخبر عن أبي الخطاب الهجري وهو مجهول[٥]، وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيعة الأحمسي[٦]، ثم أخيرًا عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلى بن أمية[٧].

وفي متن هذه الرواية ما يجد القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية، حيث تزعم على لسان علي أنه كان رضي الله عنه يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تمامًا[٨]. وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة[٩].

وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سندًا ومتنًا، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، هو تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير رضي الله عنهما[١٠]، كما يريد مفتري هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرءون على انتهاك حرمات الله؛ فهم يقسمون

---

(١) دور المرأة السياسي: ص(٤٠٦).
(٢) الحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها.
(٣) الكامل في ضعفاء الرجال (١/٥٢٨)، ميزان الاعتدال (١/٤١٣).
(٤) تقريب التهذيب (١/٦٩٧).
(٥) تقريب التهذيب (٢/٣٩٢)، دور المرأة السياسي، ص(٤٠٠).
(٦) ميزان الاعتدال (٣/٤٣٤)، لسان الميزان (٣/٢٢٥).
(٧) أسد الغابة (٥/٤٨٦)، دور المرأة السياسي، ص(٤٠٠).
(٨) دور المرأة السياسي، ص(٤٠٢).
(٩) تاريخ الطبري (٥/٤٨٣).
(١٠) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٨٣) ضعيف السند منقطعة، وأنساب الأشراف من (٢/٤٧) نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.

ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا ليس ماء الحوأب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفسًا -وفي رواية بخمسين نفسًا- يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل -كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي- أول شهادة زور في الإسلام[١].

وتحاول هذه الروايات أن تُظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين ﷺ ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد، وتحاول أن تظهر أن عائشة ﷺ بجانب طلحة ﷺ وفي قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة، وذلك لأنه تيمي مثلها، كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافسًا داخليًا بين طلحة والزبير، وحرصًا من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوي، فبعضها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون، أو فيها كلا العيبين القادحين[٢].

ولقد تأثر كثير من الكُتَّاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وأسهموا في نشرها، وهي لا أساس لها، كالعقاد في عبقرية علي، وطه حسين في علي وبنوه[٣]، وغيرهما من الكتاب المعاصرين.

٥- أعمالهم في البصرة:

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة ﷺ ومن معهم إلى البصرة نزلوا جانب الخريبة[٤]، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، كان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها، يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان ﷺ إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقًا، ومطلبهم الشرعي لا غُبار عليه ولا ينكره صحابي واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان، والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة، يقول الأحنف واصفًا هول الموقف:... فأتاني أفظع أمر أتاني قَطُّ فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد[٥] إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه، وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين[٦].

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).
(٢) تاريخ الطبري وفي إسنادها مجهولان، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(١٣٣).
(٣) خلافة علي بن أبي طالب: ص(١٣٢).
(٤) موقع جانب البصرة، انظر: خطط البصرة ومنطقها ١١٤-١٢٢العلمي.
(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (١٣٣).
(٦) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٦) له شواهد تقويه.

ويذكر الزهري أن عامة أهل البصرة تبعوهم[(١)]، وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها، وقد حاول ابن حنيف تهدئه الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا[(٢)]، وحتى إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها[(٣)].

وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخَّص لحكيم بن جبلة في القتال، وهذا لا يثبت، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك[(٤)].

٦- مقتل حُكَيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء:

أقبل حُكَيم بن جبلة بعدما خطبت عائشة رضي الله عنها في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهما رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حُكَيم ومن معه، ولم يثن، وظل يقاتلهم، وطلحة والزبير كافُّون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحُكيم يذمر[(٥)] خيله ويركبهم بها[(٦)]، وعلى الرغم من ذلك، فإنه عائشة رضي الله عنها ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيدًا عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم[(٧)]، حتى إذا كان الصباح جاء حُكيم بن جبلة وهو يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة رضي الله عنها ومن معها، جعل حُكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله[(٨)]، وعندئذٍ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمر[(٩)] منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا نَدَعُك حتى يقيدك الله[(١٠)]، فرجعوا وتركوه، ومضى حُكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان رضي الله عنه وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا[(١١)]، وظلَّ منادي عائشة رضي الله عنها يناديهم ويدعوهم إلى الكفِّ فيأبون[(١٢)]، وجعلت رضي الله عنها تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حُكيمًا لم يُرَع[(١٣)] للمنادي، وظل يُسَعِّر القتال، عندئذٍ وبعدما تبينت للزبير وطلحة رضي الله عنهما طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون ولا يتنهون عن حرمة، وأن لهم هدفًا في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحدًا،

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/٤٥٦) بسند صحيح إلى الزهري مرسلًا.
(٢) الطبقات (٦/٣٣٣).
(٣) فتح الباري (١٣/٢٦)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(١٣٧).
(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (١٣٧، ١٣٨).
(٥) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.
(٦) تاريخ الطبري (٥/٤٩٤).
(٧) تاريخ الطبري (٥/٤٩٤).
(٨) المصدر السابق (٥/٤٩٥).
(٩) اغتمر: اغتمس.
(١٠) يقيدك الله: القَوَد: القصاص، وقتل القاتل بالقتيل.
(١١) تاريخ الطبري (٥/٤٩٩).
(١٢) تاريخ الطبري (٥/٤٩٩).
(١٣) لم يرع: لم يبال.

وأقد منهم اليوم، فاقتلهم، فجادُّوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان ﷺ فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحدًا، فاقتتلوا أشد القتال[1]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم[2].

وكان فريق من هؤلاء الجُهَّال والغوغاء -كما قالت عائشة- قد غادوها في بيتها في الغَلَس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدَّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفرٍ من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها ﷺ فدارت عليهم الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم[3]، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤنة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا في ضيافة أحد، فتوجَّه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثَمَّ إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم، وأخلي سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى علي[4]، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين ﷺ على البصرة وقتلوا عددًا كبيرًا ممن شارك في الهجوم على المدينة، قُدِّر بسبعين رجلًا من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حُكيم بن جبلة، والذي كان حريصًا على القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير المؤمنين؛ فقد بُويع على ذلك[5].

٧- رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى:

كانت السيدة عائشة ﷺ حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضًا تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوه في الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يردُّنا عن ذلك، فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونُزَّاعهم، فردُّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حُرْقُوص بن زهير والله مقيده. وإنَّا نناشدكم الله -سبحانه- في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا[6].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٥٠١).
(٣) المصدر السابق (٥/ ٥٠٣).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٣)، خلافة علي، عبد الحميد، ص (١٣٨).
(٥) أنساب الأشراف (٢/ ٩٣) بسند حسن، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (١٣٩).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠١).

٨- الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة:

روى الطبري عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ، قالت: ردُّوا أبانًا، فردُّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه. قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطًا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه[(١)]، وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعي رافضي محترق، وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يَعوَّل عليه، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة، والذي يُفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك، وأن طلحة والزبير ﵄ استشنعاه، واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء[(٢)]، وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير[(٣)]، وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قُتِلَ قبل دخول دار عثمان بن حنيف[(٤)]، وحتى لو فُرِضَ عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر[(٥)].

رابعًا: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة

لم يكن الصحابة ﵃ في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة، فقد تبيَّن ذلك حينما همَّ عليّ بالنهوض إلى الشام، ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع[(٦)]، فقد كان يرى أن المدينة لم تعدُ تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق[(٧)]، فلما علم أبو أيوب الأنصاري ﵁ بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن ألجئت حينئذٍ إلى السير سرت وقد أعذرت... فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[(٨)]. ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريبًا... من أهل الشام[(٩)].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٧).
(٣) نهاية الأرب (٢٠/ ٣٨)، البداية والنهاية (٧/ ٢٣٣).
(٤) تاريخ الإسلام للذهبي، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٣٥٩).
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص(٢٥٩).
(٦) الثقات لابن حبَّان (٢/ ٢٨٣)، الأنصار في العصر الراشدي، ص(١٦١).
(٧) المصدر نفسه.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص(١٨٣).

وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة[١]، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش علي، وطريقة التعامل معهم، فكان كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلا بد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر..

وروى الطبري أن عليًا ﷺ خرج في تعبئته التي كان تعبى بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[٢]، والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة، منها: خُطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل[٣]، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك، كما أن رجالًا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم[٤].

وقد عَبَّر أبو حميد الساعدي الأنصاري -وهو بدري- عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان، فقال: اللهمَّ إن لك عليَّ أن لا أضحك حتى ألقاك[٥]، فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق في الفتنة التي يخشون عواقبها[٦]، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ[٧]، وما سبق ذكره لا يعني أنه لم يشارك أحد من الصحابة في مسيرة الخليفة، بل شارك البعض، لكنهم كانوا قليلًا، قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير علي وعَمَّار وطلحة والزبير، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب[٨]، وفي رواية: من حدَّثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدرًا أكثر من أربعة نفر فكذبه؛ كان علي وعمار في ناحية وطلحة والزبير في ناحية[٩]، وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع[١٠].

وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل. قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي ﷺ أكثر من عشرة آلاف، فما يعدون من خف فيها عشرين رجلًا؛ فسميت حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة[١١]، فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علي إلى البصرة

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٧).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١).
(٣) الطبقات (٣/ ٢٣٧)، الأنصار في العصر الراشدي، ص(١٦٣).
(٤) البداية والنهاية نقلًا عن الأنصار في العصر الراشدي، ص(١٦٤).
(٥) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين.
(٦) الأنصار في العصر الراشدي، ص(١٦٤).
(٧) الأنصار في العصر الراشدي، ص (١٦٤).
(٨) تاريخ ابن خياط، ص(١٦)، مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٧١٠).
(٩) العثمانية للجاحظ، ص (١٧٥)، الأنصار في العصر الراشدي، ص(١٦٥).
(١٠) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، كنعان، ص(٣٥٦).
(١١) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير كنعان، ص(٣٥٦).

كان قليلًا ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى[١].

إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل[٢]، والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجامًا مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث[٣].

١- نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله ﷺ أن يثني عزم أمير المؤمنين علي عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلًا: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبدًا، كان عليّ يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، ولكن من مع عليّ من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمرًا هينًا لا يرون به بأسًا، وفي قولهم وتهجمهم هذا ما يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن عليًا رضي الله عنه نهاهم قائلًا: إن عبد الله بن سلام رجل صالح[٤].

٢- نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة[٥] عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين[٦]، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باكٍ لا يخفى حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتُقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن[٧] خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيُقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قُتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي

(١) الأنصار في العصر الراشدي، ص(١٦٥).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١).
(٣) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ص(٣٨٨).
(٤) مسند أبي يعلى (١/ ٣٨١) قال محققه: إسناده صحيح.
(٥) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٠٤ كيلو مترات.
(٦) أنساب الأشراف (٢/ ٤٥)، خلافة علي بن أبي طالب: ص(١٤٣).
(٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢)تخن: أخرج الصوت من خياشيمه.

غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتى بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنًا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهورًا مذ وليت، منقوصًا لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: أجلس في بيتك، فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب[١]، ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم نُخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عنك أي بني[٢].

كان موقف أمير المؤمنين علي حازمًا في هذه المشكلة وواضحًا ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه، وأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ إن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قِبَل علي، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من التحذير من الاشتراك في الفتنة[٣]، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم[٤].

٣- استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار[٥]:

تحرك علي بجيشه إلى ذي قار فعسكر بها بعد ثماني ليال من خروجه من المدينة، وهو في تسعمائة رجل تقريبًا[٦]، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطئوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلًا منه[٧]. وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولنَّ لكم قولًا هو الحق... والقول الذي هو القول إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا عليٌّ يلي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع[٨].

وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيبًا في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النُّهى[٩]

---

(١) دباب كقطام: دعاء الضبع للضبع.

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٤)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.

(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص (١٤٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).

(٥) ذو قار، ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، معجم البلدان (٤/ ٢٩٣).

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٩- ٥٢١).

(٧) فتح الباري (١٣/ ٥٣)، التاريخ الصغير (١/ ١٠٩).

(٨) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٦).

(٩) أولو النهى: أصحاب العقول.

أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم[١]. ولبّى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضمَّ إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريبًا[٢].

وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعتتم حوزتكم، واغتتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وبايناهم حتى يبدءونا بظلم، ولن ندع أمرًا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[٣].

٤- اختلاف الرأي لا يُفْسِد للود قضية:

وهذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة، فمع اختلافهم في الرأي، لم يدخل قلب أحد الضِّغن على أخيه، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة، فقد روى البخاري عن أبي وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصاري على عمَّار حين بعثه علي إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمرًا أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمرًا أكره عندي من إبطائكما في هذا الأمر.

وفي رواية: فقال أبو مسعود -وكان موسرًا-: يا غلام، هات حلتين فأعط إحداهما أبا موسى، والأخرى عمارًا، وقال: روحا فيه إلى الجمعة[٤].

فأنت ترى أبا مسعود وعمارًا وكلاهما يرى الآخر مخطئًا ومع ذلك فأبو مسعود يكسو عمارًا حلة ليشهد بها الجمعة؛ لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وهذا تصرف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيبًا، فعمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد علي عيبًا، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علي عيبًا، وكلاهما له حجته التي اقتنع بها؛ فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمسكًا بالأحاديث الواردة في ذلك وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمَّار على رأي علي في قتال الباغين والناكثين،

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٥١٦).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٥/٤٥٦، ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهري مرسلًا، خلافة علي بن أبي طالب، ص (١٤٦)، والإسناد حسن لغيره، قاله عبد الحميد علي.

(٣) تاريخ الطبري (٥/٥١٩).

(٤) البخاري، كتاب الفتن.

والتمسك بقوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ [الحجرات: ٩] وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان متعديًا على صاحبه، وكلا الفريقين لم يكن حريصًا على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضى الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال [١].

٥- تساؤلات على الطريق:

(أ) ما سأله أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري: لما أراد الخروج من الرَّبذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذن. فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت وانفر بنا واسْمُ بنا نحو الصوت
لا وَأَلَتْ نفسي إن هبت الموت[٢]

(ب) **أهل الكوفة يسألون عليًا بمن فيهم الأعور بن بنان المنقري:** لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين ﷺ في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بُنان المنقري، فقال له علي ﷺ: عليَّ الإصلاح وإطفاء النائرة [٣] لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم [٤].

(جـ) **أبو سلامة الدالاني، ممن سأل أمير المؤمنين ﷺ فقال:** أترى لهؤلاء القوم حجَّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم. قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إنَّ الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمُّه نفعًا، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا؟ قال: إني لأرجو ألَّا يقتل أحد نَقَّى قلبه لله منَّا ومنهم إلا أدخله الله الجنة [٥].

(د) **وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال:** ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح، الكفُّ عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن

---

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٣٠٤).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٠).
(٣) النائرة: العداوة.
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٩).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠).

أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه[١].

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وإن القتال ليس واردًا في تدابيره، لأنه إن حصل، فهو داء لا يُرجى شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيَّته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين أن المسلمين الذين خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان ﷺ يبتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم[٢].

خامسًا: محاولات الصلح

قبل أن يتحرك علي ﷺ بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أيامًا، وكان غرضه ﷺ القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أُوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير، وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر، منهم:

١- عمران بن حصين ﷺ:

فقد أرسل في الناس يخذل الفريقين جميعًا، ثم أرسل إلى بني عدي -وهم جمع كبير انضموا للزبير- فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبدًا حبشيًّا مجدعًا يرعى أعنزًا في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدى لكم أبي وأمي. فقال القوم: دعنا منك، فإنا والله لا ندع ثقل رسول الله ﷺ لشيء[٣] أبدًا.

٢- كعب بن سور:

أحد كبار التابعين، فقد بذل كل جهد، وكلَّف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده؛ إذ قُتِل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح[٤].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٥٢)، الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي، ص(٤٠٦).
(٢) الإنصاف، د/حامد، ص (٤٠٦).
(٣) الطبقات لابن سعد (٤/٨٧)، خلافة علي، عبد الحميد، ص (١٤٨).
(٤) الطبقات لابن سعد (٧/٩٢) من طريقين صحيحة الإسناد، وخلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (١٤٩).

٣- القعقاع بن عمرو التميمي:

أرسل أمير المؤمنين علي القعقاع بن عمرو التميمي ﷺ في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: الْقَ هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظِّم عليهما الاختلاف والفرقة. وذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة ﷺ، وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بني، من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

- محاورة القعقاع لطلحة والزبير: ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس، فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عَرفناه لنصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان ﷺ، ولا بد أن يُقتلوا، فإن تُركوا دون قصاص كان هذا تركًا للقرآن، وتعطيلًا لأحكامه، وإن اقْتُصَّ منهم كان هذا إحياء للقرآن.

قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستُّمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلًا واحدًا، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقَتْله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإنه تركتم حرقوصًا ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًّا به، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحذور، وقوَّيتموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومُضر، من هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخُذلانكم، نصرة لبني سعد، وهذا ما حصل مع علي، ووجود قتلة عثمان في جيشه.

- الحل عند القعقاع: التأني والتسكين ثم القصاص: تأثرت أمُّ المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة؛ فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال: أقول: «هذا أمر دواؤه التسكين، ولا بُدَّ من التأني في الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًّا[1] واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابًا لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولًا، ولا تُعرِّضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي

الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين على في التعامل مع قتلة عثمان.

قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنَّ ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة».

اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قَدِمَ علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله. عاد القعقاع إلى علي في «ذي قار» وقد نجح في مهمته، وأخبر عليًا بما جرى معه، فأعجب علي بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه[١].

- **بشائر الاتفاق بين الفريقين:** لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل علي ﷺ رسولين[٢] إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا عليًا، بأنه على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل علي حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مُضر إلى مُضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح[٣]، وكان أمير المؤمنين علي ﷺ لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا -يقصد إلى البصرة- ألا ولا يرتحلن غدًا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس[٤].

سادسًا: نشوب القتال

١- دور السبئية في نشوب الحرب:

كان في عسكر علي ﷺ من أولئك الطُّغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حُجَّة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[٥]، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[٦].

فلما نزل الناس منازلهمْ واطمأنوا، خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمرًا، هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان ﷺ فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلَّا الصُّلح، وبات

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧٣٩)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٢١).
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٥).
(٣) المصدر السابق(٥/ ٥٣٩)
(٤) المصدر السابق(٥/ ٥٢٥).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٦).
(٦) المصدر السابق(٥/ ٥٢٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٢٠).

الذين أثاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قَطُّ؛ إذ أشرفوا على الهلاك وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم؛ وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء، ورأى الناس فينا -والله- واحد، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[1].

وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبأ -وهو المشير فيهم- فقال: يا قوم، إن عزَّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدًا فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بُدًّا من أن يمتنع، ويشغل الله عليًّا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[2].

فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السرِّ، فغدوا في الغَلَسِ وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربيعيهم إلى ربيعيِّهم، ويمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر، فبعثا إلى الميمنة، وهم: ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وثبتا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلًا، فقالا: ما علمنا أن عليًّا غير منته حتى يسفك الدِّماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى رَدُّوهم إلى عسكرهم[3]، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلًا قريبًا من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيَّتونا فرددناهم، وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشابًا[4].

وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة فإن الطرفين ما لبثا يملكان الرويَّة حتى تتضح الحقيقة، فعلي ومن معه يتفقون على ألا يبدءوا بالقتال حتى يبدءوا طلبًا للحجة واستحقاقًا على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مُدبرًا، ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشابًا[5].

وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فما زاد أن قال: أف أف، فراش نار وذُبَّان طمع[6] وهل يكون فراش النار وذُبَّان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة.

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 526).
(2) المصدر السابق(5/527).
(3) تاريخ الطبري (5/ 541).
(4) تاريخ الطبري (5/ 541).
(5) تاريخ الطبري (5/ 541).
(6) تاريخ خليفة بن خياط، ص(182).

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه «السبئية» في المعركة ويتضح - بما لا يدع مجالًا للشك- حرص الصحابة ﷺ على الإصلاح وجمع الكلمة؛ وهذا هو الحق الذي تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس[1]. وقبل الحديث عن جولات المعركة نُشير إلى أن أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يُجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان، أو نبزوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[2]. . وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

(أ) جاء في أخبار البصرة لعمر بن شَبَّة: أن الذين نُسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان[3].

(ب) قال الإمام الطحاوي: فجُرت فتنة الجمل على غير اختيار من على ولا من طلحة، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[4].

(جـ) وقال الباقلاني: . . . وتَمَّ الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين، ويبدءوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتَمَّ لهم ذلك على ما دبَّروه ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم دافعًا لمكروه عن نفسه ومانعًا من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل، وبه نقول[5].

(د) ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة رضوان الله عليهم على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأنَّ مَنْ كان في المعسكرِ من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبَّروا في إلقاء ما هو معروف، وتَمَّ ذلك[6].

(هـ) ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم عليٌّ على البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجرت الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإنَّ واحدًا في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[7].

---

(١) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص (١٩٢، ١٩٣).
(٢) المصدر السابق ص(١٩٤).
(٣) فتح الباري (١٣/٥٦).
(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص(٥٤٦).
(٥) التمهيد، ص(٢٣٣).
(٦) تثبيت دلائل النبوة للهمداني، ص(٢٩٩).
(٧) العواصم من القواصم، ص(١٥٦، ١٥٧).

(و) ويقول ابن حزم: . . . وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن -ولا شك- أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطًا، ولم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب وإضرابها، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحًا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ، فانصرف ومات من وقته ﷺ، وقتل الزبير بوادي السباع- بعد انسحابه من المعركة- على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر[١].

ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين[٢]، ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامي أوباش الطائفتين بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس[٣].

وفي كتاب «دول الإسلام»: والتحم القتال من «الغوغاء» وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[٤]، ويقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرِّحة بدور «السبئية» في الجمل، تفسِّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول إن هذه شَكَّلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية»، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين؟! [٥].

ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دورًا في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناسَ في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقته ناصعة لا تحتاج إلى عناء، وكفى بسواد الفتنة حاجبًا عن التروي والإبصار[٦]، ولا نبعد كثيرًا؛ فهذا الأحنف بن قيس -وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل-

---

(١) الفصل في الملل والنّحل (٤/١٥٧، ١٥٨).

(٢) العبر (١/٣٧)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص(١٩٥).

(٣) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة، ص(١٩٥).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) عبد الله بن سبأ للعودة، ص(١٩٥).

(٦) المصدر السابق ص(١٩٦).

يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة[١]، فقال: يا أحنف، ارجع فإني سمعته ﷺ يقول: «إذا تَوَاجَه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار»، فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان قد أراد قتل صاحبه»[٢].

إن القتالَ مع علي كان حقًّا وصوابًا ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة رضي الله عنه حمل حديثًا ورد في غبر الحالة التي قاتل فيها علي على حالة قتال الباغين، وهو فهم منه رضي الله عنه ولكنه فهم في غير محله، ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليًّا رضي الله عنه في معركته مع الآخرين، منها: أمثال هذه الفتاوى التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثرًا عن فتوى تصيب محلها[٣].

هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع على رضي الله عنه، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين[٤]، ونقترب أكثر فإذا الزبير رضي الله عنه - وهو طرف أساسي في المعركة- يكشف لنا عن حقيقة الأمر: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نُحدَّث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك؛ إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قَطُّ إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر[٥]، ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضًا[٦]، وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي رضي الله عنه على الفتنة فيقول عمار رضي الله عنه في الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكنها مما ابتليتم[٧].

٢- الجولة الأولى في معركة الجمل:

زاد السبئيون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله، ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شد[illegible]، وهي معركة الجمل، وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كانت في المعركة في الجو[illegible] الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذي قدمه لها يعلى بن أمية في مكة، حيث [illegible] من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادى الثانية، سنة ست وثلاثين، في منطقة «الزابوقة» قُرب

---

(١) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، كما قال الإمام أحمد وعزا هذا القول إلى الأكثرين، وقيل: إنه نفيع بن مسروح وبه جزم ابن سعد، وقيل: اسمه مسروح وبه جزم ابن إسحاق. وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبي بكرة، من فُضَلاء الصحابة، ومن أهل الطائف، وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين، قيل: في سبب كنيته أنه تدلى من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بها. توفي بالبصرة (٥٢هـ).

(٢) مسلم (٤/ ٢٢١٣)، كتاب الفتن.

(٣) الأساس في السُّنَّة وفقهها، السيرة النبوية (٤/ ١٧١١).

(٤) صحيح مسلم على شرح النووي (١٨/ ١٠).

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٦).

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٦).

(٧) المصدر السابق (٥/ ٥١٦).

البصرة، حزن علي لما جرى، ونادى مناديه: كُفُّوا عن القتال أيها الناس: ولم يسمع نداءه أحد، فالكل كان مشغولًا بقتال خصمه[(١)].

كانت معركة الجمل على جولتين: الجولة الأولى كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة[(٢)]، ونادى علي في جيشه، كما نادى طلحة والزبير في جيشهما: لا تقتلوا مُدبرًا، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجًا من المعركة تاركًا لها[(٣)]، وقد كان الزبير ﷺ، وصّى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلومًا، وإن أكبر همي دَيْني[(٤)].

وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل عليًا، وذلك بأن يندس مع جيشه، ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن بمؤمن، أو أن الإيمان قيّد الفتك[(٥)]، فالزبير ﷺ، ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص آخر بريء من دم عثمان، وقد دعا أمير المؤمنين علي الزبير، فكلّمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث، وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله ﷺ يقول له -أي الزبير- «لتقاتلنه وأنت له ظالم»[(٦)] - وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح[(٧)].

وبعض الروايات تُرجع السبب في انصراف الزبير ﷺ قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسول الله ﷺ: «تقتل عمار الفئة الباغية»[(٨)]، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته[(٩)]، وبعضها يرجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه[(١٠)]، من هذه الفتنة -كما يسميها- وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى أن ابن عباس ﷺ، ذَكّره بالقرابة القوية من علي؛ إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب[(١١)]، فخرج الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله[(١٢)] كما سيأتي تفصيله بإذن الله.

فالزبير، ﷺ، كان على وعي لهدفه - وهو الإصلاح - ولكنه لما رأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب؟ فيه حذف

---

(١) المصدر السابق (٥/ ٥٤١).
(٢) المصدر السابق (٥/ ٥٤١، ٥٤٣)، الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(٢٤٥).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤١).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٧٩)، الطبقات (٣/ ١٠٨)صحيح الإسناد.
(٥) مسند أحمد (٣/ ١٩) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٦) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، ص(٢٠١) خرّج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.
(٧) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٣٢٤)، المطالب العلية رقم (٤٤٦٨).
(٨) مسند أحمد (١/ ٤٧- ٤٩)، (١١/ ٣٨) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.
(٩) خلافة علي بن أبي طالب، ص(١٥٤).
(١٠) المصدر السابق ص(١٥٤)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٦).
(١١) الطبقات (٣/ ١١٠) إسناده صحيح، خلافة علي، ص(١٥٥).
(١٢) الطبقات (٣/ ١٠)، تاريخ خليفة، ص(١٨٦).

مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل؟[١] وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة أسهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة، فقد أصيب في بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزاره فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملني، وابحث لي عن مكان مناسب، فأُدخل البصرة، ووضع في دار فيها ليعالج، ولكن جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت، ثم دُفن في البصرة، ﷺ[٢].

وأما الرواية التي تُشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال وأن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى، فهذه الرواية لا تصح[٣]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير ﷺ، مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير، ﷺ، كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، وفيه أن الزبير ﷺ، سعى في الصلح بين الناس ولكن قامت [illegible] واختلف أمر الناس ومضى الزبير وترك [illegible][٤]، وكذلك طلحة؛ فقد جاء من أجل [illegible] من أجل إراقة الدماء، وأما عن [illegible] ﷺ فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس[٥].

ويخرج الزبير من ميدان المعركة، ويموت طلحة ﷺ، ويسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي، وكان علي ﷺ يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل علي على ابنه الحسن، وضمَّه إلى صدره، وصار يبكي ويقول له: يا بُني، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا، فقال الحسن: يا أبت، لقد كنت نهيتك عن هذا، فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيُّ خير يُرجى بعد هذا؟[٦].

٣- الجولة الثانية:

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفًا يدع الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين

(١) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٢٤٨).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤٠).
(٤) المستدرك (٣/ ٣٦٦)، استشهاد عثمان: ص(٢٠٠).
(٥) تاريخ خليفة ص١٨٥، استشهاد عثمان، ص(٢٠٢).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٥٢١).

وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس؛ فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل[١]، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادى جيش عليٍّ قائلًا: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه. وخشي السبئيون في مقدمة جيش على أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقي وجه الله، ومات والمصحف في يده[٢]، وأصابت سهام السبئين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تنادي، وتقول: يا بني، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحساب، وكفوا عن القتال. والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة، وكان علي من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم على البصريين، لكن السبئين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقدامًا وهجومًا وقتالًا، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم. وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان وتلعنهم، وضج أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشياعهم، ولعنهم، وسمع عليٌّ الدعاء عاليًا في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان وأشياعهم والعنوهم. وضجّ جيش علي بلعن قتل عثمان والدعاء عليهم[٣]، وقال علي: اللهم لعن قتلة عثمان في السهل والجبل[٤].

اشتدت الحرب واشتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت[٥] ودنا الناس بعضهم من بعض[٦]، ووجّه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قُتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمى فيه من النبل[٧]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير[٨]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فهي لا تريد القتال ولكنه وقع رغمًا عنها، وأصبحت في وسط المعمعة، وصارت تنادي بالكف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل، فجاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين؟ فقالت: كن كخيري ابني آدم -- أي كف يدك -- فأغمد سيفه بعد أن سله فقتل

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦)، بسند صحيح إلى الزهري.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٨) بسند صحيح، سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٣٦) بسند صحيح.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٥٨) رجاله رجال الصحيح.

(٦) الطبقات (٥/ ٢) بسند صحيح.

(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣)، تاريخ خليفة ص (١٩٠) بسند حسن.

(٨) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٤).

رحمه الله[١]، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، الذي حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قتل معه؛ وذلك أنه صارعه فسقطا على الأرض جميعًا، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني ومالكًا، لحنقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس على عثمان ﷺ، ولكن الأشتر لم يكن معروفًا بمالك، ولم يك قد حان أجله، ولو قال الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة[٣]، وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالًا منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر؛ إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرضَ أن يضربه وهو جالس على فرسه، بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظانًّا أنه قتله[٤]، واستحر القتل أيضًا في بني عدى وبنى ضبة والأزد، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين، وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربى الضبي برجزه:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل
الموت عندنا أحلى من العسل ... ننعي ابن عفان بأطراف الأسل[٥]

أدرك أمير المؤمنين علي ﷺ بما أوتي من حنكة وقوة ومهارة عسكرية فذة - أن في بقاء الجمل استمرارًا للحرب، وهلاكًا للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين في الميدان، كما أن في بقائها خطرًا على حياتها؛ فالهودج الذي هي فيه أصبح كالقنفذ من السهام[٦]، فأمر علي نفرًا من جنده منهم محمد بن أبي بكر (أخو أم المؤمنين) وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة؛ أي: يضربا قوائم الجمل بالسيف، فعقروا الجمل[٧].

واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي، فأمر به علي، فأدخل في منزل عبد الله بن بديل[٨]، وصدق حدس علي ﷺ العسكري، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش علي، وعندما بدأت الهزيمة نادى علي أو مناديه في جيشه أن لا يتبعوا مدبرًا ولا يجهزوا على جريح، ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا

---

(١) نسب قريش: ص(٢٨١)، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١١٠) بسند صحيح.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٨)، مرويات أبي مخنف ص٢٦٨إسناده صحيح.
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد: ص(١٥٩).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٨) بسند صححه ابن حجر في الفتح (١٣/ ٥٧، ٥٨).
(٥) تاريخ خليفة: ص(١٩٠) بسند حسن، خلافة على، عبد الحميد: ص(١٥٩).
(٦) أنساب الأشراف للبلاذرى (٢/ ٤٣) بسند متصل.
(٧) أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٦١١).
(٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧) بسند جيد، الفتح (١٣/ ٥٧).

الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيئًا من متاع عند أحد من أصحابه، فله أن يسترده، فجاء رجل إلى جماعة من جيش على وهم يطبخون لحمًا في قدر له فأخذ منهم القدر، وكفأ ما فيها حنقًا عليهم [١].

٤- عدد القتلى:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة [٢].

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفًا [٣]، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة؛ لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضي الشيعي، فقد بالغ كثيرًا - بحكم ميوله - وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن؛ إذ ذكر أن العشرين ألفًا هم من أهل البصرة [٤]، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ﷺ ونصفهم من أصحاب عائشة ﷺ، وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفًا، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية [٥]، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيهما مبالغة أيضًا، ويذكر عمر بن شبَّة بسنده أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سندًا [٦]، أما اليعقوبي فقد جاوز هؤلاء جميعًا؛ إذ وضع عدد القتلى اثنين وثلاثين ألفًا [٧]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جدًا، وكان من أسباب المبالغة:

(أ) رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحاب والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ.

(ب) إسهام بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل في تضخيم ما جرى وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلًا عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

(جـ) إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم [٨].

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلًا جدًا للأسباب التالية:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧) بسند جيد، الفتح (١٣/ ٥٧).

(٢) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).

(٣) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص(١٨٦) بسند مرسل.

(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤٢- ٥٥٥).

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ص(١٨٦) إسناده منقطع وهو حسن إلى قتادة.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٦)، فتح الباري (١٣/ ٦٢).

(٨) الإنصاف: ص(٤٥٥).

- قصر مدة القتال؛ حيث أخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح[١]، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

- الطبيعة الدفاعية للقتال؛ حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

- تحرُّج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.

- قياسًا بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك (ثلاثة آلاف شهيد)، ومعركة القادسية (ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد)، وهي التي استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلًا جدًا، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدَّتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

- أورد خليفة بن خياط بيانًا بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل فكانوا قريبًا من المائة[٢]، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعنى أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذي ترجَّح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته «استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري- دراسة نقدية»[٣].

٥- هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟

أشار كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله ﷺ، هو مروان بن الحكم[٤]، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة؛ وذلك للأسباب التالية:

(أ) قال ابن كثير: ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب، وإن كان الأول مشهورًا، والله أعلم[٥].

(ب) قال ابن العربي: قالوا إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله، ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت[٦].

(ج) قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه[٧].

(د) بطلان السبب الذي قيل فيه: إن مروان قتل طلحة ﷺ من أجله، وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان ﷺ، وهذا السبب المزعوم غير صحيح؛ حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحدًا من الصحابة قد أعان على قتل عثمان ﷺ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٦)، فتح الباري (١٣/ ٦٢).
(٢) تاريخ خليفة: ص(١٨٧، ١٩٠).
(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(٢١٥).
(٤) الطبقات (٣/ ٢٢٣)، تاريخ المدينة (٤/ ١١٧٠)، تاريخ خيفة: ص(١٨٥).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨).
(٦) العواصم من القواصم: ص(١٥٧- ١٦٠).
(٧) العواصم من القواصم: ص(١٥٧- ١٦٠).

(هـ) كون مروان وطلحة ﷺ من صف واحد يوم الجمل وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس[١].

(و) أن معاوية ﷺ قد ولى مروان على المدينة ومكة، فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية، ﷺ، على رقاب المسلمين، وفي أقدس البقاع عند الله.

(ز) وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري[٢] - مع ما عرف عن البخاري رحمه الله من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته - فلو صح قيام مروان بقتل طلحة، ﷺ، لكان هذا سببًا كافيًا لرد روايته والقدح في عدالته[٣].

٦- نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي علي: أن لا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبرًا، ولا يدخلوا دارًا، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده، فله أن يأخذه[٤].

وقد ظن بعض الناس في جيش علي أن عليًا سيقسم بينهم السبي، فتكلموا به ونشروه بين الناس، ولكن سرعان ما فاجأهم علي ﷺ، حين أعلن في ندائه: وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قُتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرًا، فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين، تحلّ لنا دماؤهم ولا تحلّ لنا نساؤهم؟ فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوها على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم، ففرقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم ﷺ من بيت المال خمسمائة خمسمائة[٥].

٧- تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج علي يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابًّا صالحًا، ثم قعد كئيبًا حزينًا . . . ودعا للقتلى بالمغفرة، وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[٦]، وعاد

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(٢٠٢).
(٢) فتح الباري (٢/ ٥٢٠)، استشهاد عثمان: ص(٢٠٣).
(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: ص(٢٠٢).
(٤) خلافة علي بن أبي طالب: ص(١٦٨) عبد الحميد، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦) بسند صحيح.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦) بسند صححه ابن حجر (١٣/ ٥٧).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦١)، المستدرك (٣/ ١٠٣، ١٠٤، ٣٧٥) والإسناد حسن لغيره، خلافة علي بن أبي طالب، ص(١٦٩).

إلى منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقرابته والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إني لأرجو أن نكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت[١].

٨- مبايعة أهل البصرة:

كان أمير المؤمنين علي ﷺ حريصًا على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخي وأتنا في الحاجة إذا كانت لك، وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي ﷺ يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة[٢].

كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس ﷺ ليكلموا عليًا فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[٣]، كما أن مروان ﷺ أثنى على فعال أمير المؤمنين علي، فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولَّينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح[٤].

وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وولى عليهم ابن عمه عبد الله بن عباس، ﷺ، وولى على خراجها زياد ابن أبيه، وأراد علي ﷺ أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكًا (الأشتر) أعجلة من ذلك؛ وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولي إمارة البصرة غضب وسار في قومه، فخشي علي ﷺ منه شرًّا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره، وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئًا[٥].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٨ - ٢٦٩) خلافة علي ص: (١٦٩) عبد الحميد.

(٢) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرك (٣/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(٣) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٣٧) بسند حسن.

(٤) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي: ص(١١١)، فتح الباري (١٣/ ٦٢).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٥٧)، خلافة علي، عبد الحميد: ص(١٧٤).

٩- حديث أبي بكرة عن رسول الله ﷺ:

«إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[١]، قال القرطبي: قال علماؤنا: ليس هذا الحديث -حديث أبي بكرة- في أصحاب النبي ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]. فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله: «القاتل والمقتول في النار» ليس في أصحاب النبي ﷺ؛ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلًا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها[٢].

وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول، فمحمولة على من لا تأويل له، ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق، وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره.

واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة ﷺ ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا؛ بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ في الاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي ﷺ هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا هو مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم[٣].

١٠- تاريخ معركة الجمل:

اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة، منها:

(أ) أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة[٤].

---

(١) مسلم. كتاب الفتن (٤/٢٣٣).
(٢) التذكرة (٢/٢٣٢، ٢٣٣).
(٣) شرح صحيح مسلم (٨/٢٢٧، ٢٢٨).
(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ص(١٨٤، ١٨٥).

(ب) أخرج عمر بن شبَّة أن الوقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[١].

(ج) أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الواقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[٢].

(د) ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأولى[٣]، غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

١١- أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قُتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف، فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي. فلم يرد عليها علي شيئًا، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضًا فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟![٤].

١٢- اعتذار أبي بكرة الثقفي عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي إلى أمير المؤمنين فبايعه، فقال له علي: أين المريض؟ -يعني أباه- فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامي، فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس، وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة، وجعل معه زياد ابن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد[٥].

١٣- موقف أمير المؤمنين علي ممن ينال من عائشة:

قال رجل: يا أمير المؤمنين، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر عليٌّ القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة، وأن يخرجهما من ثيابهما[٦]، وقد قام القعقاع بذلك.

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٦١).
(٢) استشهاد عثمان: ص(٢٠٦) نقلاً عن تاريخ الطبري.
(٣) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٧).
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٧).
(٦) المصدر السابق(٧/ ٣٥٨).

١٤- دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة:

عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند علي، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبيه؟ اسكت مقبوحًا منبوذًا مذمومًا مدحورًا[١]. وجاء في رواية: اغرب مقبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ؟![٢]. وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علي رضي الله عنه فقال: حليلة رسول الله ﷺ[٣].

سابعًا: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع سنين، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل: في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سموات، وكانت أحب أزواج النبي ﷺ إليه، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين، إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفى عنها النبي ﷺ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين لليلة خلت من رمضان، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها[٤].

ومناقبها رضي الله عنها كثيرة مشهورة، فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن منها:

١- مجيء الملك بصورتها إلى النبي ﷺ في سرقة[٥] من حرير قبل زواجها به ﷺ:

فقد روى الشيخان من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه[٦].

٢- أحب أزواج النبي ﷺ:

وقد صرح بمحبتها لما سئل ﷺ عن أحب الناس إليه، فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل[٧]، قال: فأتيته فقلت: أي

(١) فضائل الصحابة (٢/ ١١٠) إسناده ضعيف، وضعيف سنن الترمذي رقم (٨١٥) للألباني.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٩) إسناده حسن قاله الذهبي.
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٧٦) رجاله ثقات.
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥، ٢٠١) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨)، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).
(٥) أي: في قطعة من جيد الحرير، انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٦٢).
(٦) مسلم رقم (٢٤٣٨).
(٧) مأخوذ من السلاسل وهو الماء السلسل، وهو السهل، النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٨٩).

الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: فمن الرجال؟ قال: أبوها[١]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيبًا، وقد قال: **«لو كنت متخذًا خليلًا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام أفضل»**، فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله، وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا[٢].

٣- نزول الوحي على النبي ﷺ وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام:

فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمه فقلن: يا أم سلمه والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمه للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: **«يا أم سلمه، لا تؤذيني في عائشة؛ فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها»**[٣] وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها[٤].

٤- أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي ﷺ:

فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: **«يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام»**، فقالت: وعليه السلام ورحمه الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد رسول الله ﷺ[٥].

٥- بدأ النبي ﷺ بتخيرها عند نزول آية التخيير:

وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة؛ فاستنَّ بها بقية أزواجه ﷺ، فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة، رضي الله عنها، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: **«إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرى أبويك»**. قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: **«إن الله - جل ثناؤه- قال:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ

---

(١) البخاري رقم (٤٣٥٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٤٣).
(٣) البخاري رقم (٣٧٧٥)، كتاب فضائل الصحابة.
(٤) سير أعلام النبلاء (٢/١٤٣).
(٥) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٣٧٦٨).

﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]» قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت[١].

٦- نزول آيات من كتاب الله بسببها فمنها ما هو في شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة:

فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رُميت به من الإفك والبهتان، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [النور: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٢٦﴾ [النور: ٢٦].

قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحيًا يُتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم، وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرًا لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرًا لها ولا خافضًا من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها، وصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء، فيا لها من منقبة ما أجلها!

وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغار لنفسها، حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحي يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها[٢]، فهذه صدِّيقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله ﷺ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول اله ﷺ[٣].

قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلى على الزمان... وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[٤].

وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامة فآية التيمم وكانت رحمة وتسهيلًا لسائر الأمة، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا

(١) البخاري، كتاب التفسير رقم (٤٧٨٩).
(٢) البخاري رقم (٤١٤١).
(٣) جلاء الإفهام: ص(١٢٤، ١٢٥).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ٩٥)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٨).

النبي ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير: جزاكِ الله خيرًا، فوالله ما نزل بكِ أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرًا[١].

٧- كان رسول الله ﷺ يحرص على أن يمرض في بيتها:

فقد كانت وفاته ﷺ بين سحرها ونحرها وفي يومها، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودُفِنَ في بيتها[٢]، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة ﵂، أن رسولَ الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: أين أنا غدًا؟ حرصًا على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن[٣].

وعند مسلم عنها أيضًا قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: «أين أنا اليوم، أين أنا غدًا؟» استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري[٤]، وروى البخاري أيضًا بإسناده عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنَّ به، وهو مستند إلى صدري، وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة[٥].

٨- إخباره ﷺ بأنها من أصحاب الجنة:

فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة، ﵂، قالت: قلت: يا رسول الله، من أزواجك في الجنة؟ قال: «أما إنك منهن؟» قالت: فخيل إليَّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكرًا غيري[٦]. وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين، تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ، وعلى أبي بكر[٧]. وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة ﵂، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[٨].

---

(١) البخاري، رقم (٣٣٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٩)، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).
(٣) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٣٧٧٤).
(٤) مسلم، كتاب الصحابة، رقم (٢٤٤٣).
(٥) البخاري، رقم (٤٤٥٠، ٤٤٥١).
(٦) المستدرك (٤/ ١٣) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٧) البخاري، رقم (٣٧٧١).
(٨) فتح الباري، (٧/ ١٠٨)، العقيدة في أهل البيت، ص(٩٥).

٩- «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»:

ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[(١)]. قال النووي: قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه، والالتذاذ به وتيسر تناوله، وتَمكُّن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة[(٢)].

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها؛ وعلو شأنها في الدين، وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قِبَل الشيعة الرافضة، ومن تأثر برواياتهم المختلقة، وآثارهم الموضوعة، وجاءوا لآثار صِحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأوَّلوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب «ثم اهتديت» وهو لم يأت بجديد، وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض، وطعن في أم المؤمنين عائشة بقول عَمَّار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي[(٣)].

وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة ﵂، بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعظم من هذا؟! وأي شرف أسمى من هذا، فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة ﵂ قد تحقق لها ذلك بشهادة عَمَّار ﵁ الذي كان مُخالفًا لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله ﷺ[(٤)].

وبهذا قد جاء الحديث الصحيح المرفوع للنبي ﷺ، على ما روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال لها: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟» قالت: بلى والله، قال: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة»[(٥)]. فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة ﵂ ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة ﵂[(٦)]، وأما

---

(١) البخاري، رقم (٣٧٧٠).
(٢) شرح صحيح مسلم (١٥/٢٠٨، ٢٠٩).
(٣) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٣٧٧٢).
(٤) الانتصار للصحب والآل ص، (٤٤٨).
(٥) المستدرك (٤/ ١٠)، الصحيح المسند لمصطفى العدوى، ص(٣٥٦).
(٦) البخاري رقم (٣٧٧٢).

قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها[١]. فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان ذلك من وجوه:

(أ) أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة رضي الله عنها ترى خلاف ذلك، وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر[٢].

(ب) أن غاية ما في قول عَمَّار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة، وليس كل مخالف مذمومًا حتى تقوم عليه الحُجَّة بالمخالفة ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة، فقد يكون ناسيًا أو متأولًا فلا يؤخذ بذلك.

(جـ) أن عمارًا رضي الله عنه ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبيِّن خطأها في الاجتهاد نصحًا للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها[٣]، وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عَمَّار أن عمارًا سمع رجلًا يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحًا منبوذًا، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها[٤].

وأما قول الشيعة الروافض؛ أن النبيَّ ﷺ قام خطيبًا، فأشار نحو مساكن عائشة فقال: ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان، وطعنهم على عائشة رضي الله عنها بذلك وزعمهم أن الرسول ﷺ أراد أن الفتنة تخرج من بيتها. فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق، وتدليس على من لا علم عنده من العامة، وذلك بتفسيره قول الراوي: فأشار (نحو مسكن عائشة) على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة، والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه، وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام، فإن الراوي قال: أشار نحو مساكن عائشة، ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي، وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخُمس[٥]، وهذا الحديث قد جاء مخرجًا في كتب السُّنَّة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الشيعة الروافض، ويُغنى عن التكلف في الرد عليهم بأي شيء آخر، وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما، فعن ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٦].

(١) البخاري رقم (٣٧٧٢).
(٢) الانتصار للصحب والآل، ص(٤٤٨).
(٣) الانتصار للصحب والآل، ص(٤٥٠، ٤٥١).
(٤) البداية والنهاية (٧/٢٤٨).
(٥) البخاري رقم (٣١٠٤).
(٦) البخاري رقم (٧٠٩٣)، مسلم رقم (٢٩٠٥).

وعن عبيد بن عمر قال: حدَّثني نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «**الفتنة من حيث يطلع قرن**[١] **الشيطان**» قالها مرتين أو ثلاثًا، وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: «**ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا، ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٢]. وفي هذا الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الشيعة الروافض[٣]، كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها، فعن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ فقال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا[٤]، فأظنه قال في الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[٥].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركَبكم للكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء من ههنا** وأوْمَأ بيده نحو المشرق، **من حيث يطلع قرنا الشيطان**»[٦].

وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشارَ رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «**ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغِلَظ القلب في الفدادين**[٧]، وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومُضر»[٨].

فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي ﷺ من قوله: الفتنة (ههنا) وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بُطلان ما ادَّعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأى ساقط، لم يفهمه أحد، وما قال به سوى الشيعة الروافض[٩].

١٠- المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن:

قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع[١٠]. . . وسُئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن

---

(١) مسلم، كتاب الفتن (٤/ ٢٢٢٩).
(٢) مسلم، كتاب الفتن (٤/ ٢٢٢٩).
(٣) الانتصار للصحب والآل، ص(٤٥٣).
(٤) نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.
(٥) البخاري رقم (٧٠٩٥).
(٦) مسلم، كتاب الفتنة من المشرق (٤/ ٢٢٢٩).
(٧) الفدادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.
(٨) البخاري رقم (٣٣٠٢)، الانتصار للصحب والآل، ص(٤٥٥).
(٩) الانتصار للصحب والآل، ص(٤٥٥).
(١٠) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٤).

سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها[1]، وقال ابن حجر: وقيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة[2]، وقال في شرح حديث أبي هريرة أن جبريل أتى النبي ﷺ وأمره أن يقرئ خديجة السلام من ربها وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة؛ لأن عائشة سَلَّم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديمًا، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم[3].

وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن رضي الله عنهن نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك لقوله ﷺ: **«لقد فضلت خديجة على نساء أمتي»**[4]، وقال ﷺ: **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية»**[5]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل[6]، وقال ﷺ: **«حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»**[7].

وهذا نص في أن خديجةَ رضي الله عنها أفضل نساء الأمة، ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها وهو قوله ﷺ: **«يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟»**[8]. وفي لفظ: **«سيدة نساء أهل الجنة»**[9]، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة، بهذا وردت النصوص[10].

وأما ما ورد في تفضيل عائشة، رضي الله عنها، في قوله ﷺ: **«فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»** فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر[11]، وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة، رضي الله عنها، على غيرها؛ لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من

(١) المصدر السابق(٤/ ٣٩٣).
(٢) فتح الباري (٧/ ١٠٩).
(٣) فتح الباري (٧/ ١٣٩).
(٤) فتح الباري (٧/ ١٣٥)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٣).
(٥) الإحسان لابن حبان (٩/ ٧٣)، صحيح الجامع للألباني (١/ ٣٧١).
(٦) فتح الباري (٧/ ١٣٥).
(٧) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٥) رقم (١٣٢٥) وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣/ ١٧٤٥).
(٨) البخاري رقم (٦٢٨٥).
(٩) فتح الباري (٧/ ١٠٥).
(١٠) العقيدة في أهل البيت، ص(٩٧).
(١١) فتح الباري (٧/ ١٠٧).

تيسير المئونة وسهولة الإساغة، وكان أجلَّ طعمتهم يومئذٍ، وكل هذه الخِصَال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة، فقد يكون مفضولًا بالنسبة لغيره من جهات أخرى[١].

فالحديث إذن دال على أفضلية عائشة رضي الله عنها، على سائر نساء هذه الأمة ماعدا خديجة وفاطمة رضي الله عنهما، لورود الدليل على ذلك مما قَيَّد تلك الأفضلية لعائشة، رضي الله عنها[٢]، وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي ﷺ: أي النساء أحب إليك؟ فقال ﷺ: «عائشة»[٣].

فقد أشار ابن حبَّان إلى أنه مقيد في نسائه ﷺ إذ عقد عنوانًا في صحيحة فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: إني لست أعني النساء وإنما أعني الرجال، فقال: «أبو بكر» أو قال: «أبوها». ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال على أن مخرج السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها، وأخرج بسنده عن أنس قال: سُئل رسول الله ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قيل له: ليس عن أهلك نسألك، قال: «فأبوها»[٤].

وبهذا يتبين أن عائشة، تلي خديجة وفاطمة في الفضل رضي الله عنهما. إذن فكل ما ورد من دليل على عموم تفضيلها رضي الله عنها مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة رضي الله عنهما، ولا ينكر أن لعائشة رضي الله عنها، من الفضائل كالعلم مثلًا ما تختص به عن خديجة وفاطمة رضي الله عنهن، إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق[٥]، وعلى كل حال فليس فضل إحداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث فاطمة وخديجة وعائشة رضي الله عنهن؛ حيث إنَّ الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذي يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت ثالثة نساء الأمة في الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها، كما يفعل الشيعة الروافض؟![٦].

-هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟: قد تقدَّم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أُريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدًا[٧].

وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بيَّنت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مرَّ معنا، وإنما هذه الأقوال من

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٤٤٧).
(٢) العقيدة في أهل البيت: ص(٩٧).
(٣) البخاري رقم (٤٣٥٨).
(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبَّان (٩/ ١١).
(٥) فتح الباري (٧/ ١٠٨)، العقيدة في أهل البيت، ص(٩٨).
(٦) الانتصار للصحب والآل، ص(٤٦١).
(٧) المغازي للزهري، ص(١٥٤).

الروايات التي وضعتها الشيعة الروافض، والتي شَوَّهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين علي وطلحة والزبير وعائشة ﭬ حربًا أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصورون المسألة كحرب أهلية مُخطط لها، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها، مثل: الإمامة والسياسة، والأغاني، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبي، بل وتاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان[1].

- هل يصح هذا الحديث: تقاتلين عليًا وأنت له ظالمة؟ إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعًا، فإن عائشة لم تُقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس... لا قاتلت ولا أمرت بقتال، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار[2].

- أمير المؤمنين علي ﭬ يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة: جَهَّز أمير المؤمنين علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدين أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار... وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله برت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيك ﷺ في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها عليٌّ أميالًا وسرح بنيه معها[3] يومًا.

وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي ﭬ نراه قد اتَّبع ما أوصاه به نبي الأمة ﷺ عندما قال له: **«إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر»**. قال: أنا يا رسول الله؟ قال: **«نعم»**. قال: أنا؟ قال: **«نعم»**. قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله، قال: **«لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها»**[4].

وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من علي ﭬ لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي ﷺ في

(١) انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوي الأصيل، محمد جميل، الحزبية السياسية، رياض عيسى، الحريم السياسي، النبي والنساء، الدولة العربية فلهاوزن، نقلًا عن دور المرأة السياسي، ص(٤٤٢).

(٢) منهاج السُّنَّة (٢/ ١٨٥).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨١).

(٤) مسند أحمد (٦/ ٣٩٣) إسناده حسن.

فراقها، فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[١]، وهذا الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ، لما رأي عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى علي أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما[٢].

قال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حقِّ النبي ﷺ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره ﷺ[٣]. وعلي رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يُفهم منها أنه قد عَرَّض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبي ﷺ: لم يضيق الله عليك[٤]، إلا أنه عاد فقال لرسول الله ﷺ ناصحًا: وسَل الجارية تصدقك[٥]. فهو قد دعاه إلى التحري أولًا قبل أن يفارقها، أي أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحري الحقيقة[٦]، وقد سأل رسول الله ﷺ الجارية التي كانت أكثر التصاقًا بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من أمر عائشة إلا خيرًا، وقد خرج رسول الله ﷺ من يومه الذي سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله بن أُبي قائلًا: يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا[٧].

لقد كانت نصيحة على في صالح عائشة، فقد ازداد ﷺ قناعة بما علم من خير في أهله[٨]، ولم يكن موقف على في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رضي الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زورًا بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ممن تورط في روايات الشيعة الرافضة التي لفقوها ووضعوها.

- **ندمهم على ما حصل منهم:** قال ابن تيمية: . . . وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزُّبير وعليٌّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[٩].

(أ) فأمير المؤمنين علي ورد عنه عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، أنه قال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[١٠].

---

(١) البخاري رقم (٤٧٨٦).
(٢) دور المرأة السياسي، ص(٤٦٢).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٦٣٤).
(٤) البخاري رقم (٤٧٨٦).
(٥) البخاري رقم (٤٧٨٦).
(٦) دور المرأة السياسي، ص(٤٦٢).
(٧) البخاري رقم (٤٧٨٦).
(٨) دور المرأة السياسي، ص(٤٦٢).
(٩) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، ص(٢٢٢).
(١٠) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).

(ب) وروى نعيم بن حماد، بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت عليًّا حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[١]

(ج) وعن الحسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمرًا، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعًا[٢].

(د) وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علي أنه سمع عليًّا يقول -حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم-: يا حسن، أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[٣].

(هـ) وأما عائشة: فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي، وكان أحب إليّ أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير[٤].

(و) وكانت إذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] تبكي حتى تبل خمارها[٥].

(ز) قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولدًا من رسول الله ﷺ وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأنى ثكلتهم، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل[٦].

(ح) قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنَّت أنَّ خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبيَّن لها فيما بعد أنَّ ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلَّ خمارها، وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعليّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[٧].

(ط) قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمةً كلية على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنَّت أن الأمر يبلغ ما بلغ[٨].

ثامنًا: سيرة الزبير بن العوام واستشهاده

هو أبو عبد الله الزبير بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي[٩]، ويجتمع مع النبيّ ﷺ في قصي، وهو حواري رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).
(٢) المصدر السابق (١/ ٨١).
(٣) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص(٢١٧).
(٤) الفتن، نعيم بن حمَّاد (١/ ٨١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧)، الطبقات (٨/ ٨١).
(٦) التمهيد للباقلاني، ص(٢٣٢)، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من أشرف بني مخزوم، توفي قبل معاوية.
(٧) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض، ص(٢٢٢، ٢٢٣).
(٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).
(٩) الإصابة (١/ ٥٢٦- ٥٢٨).

عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى[١]، أسلم وهو حَدَث وله ست عشرة سنة[٢]، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله[٣]، وقد تعرض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روي أن عم الزبير كان يعلقه في حصير ويدخن عليه النار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا[٤].

١- أول من سَلَّ سيفه في سبيل الله:

عن سعيد بن المسيب، قال: أول من سَلَّ سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير بن العوام قائل إذ سمع نغمة: أن رسولَ الله قُتِل، فخرج من البيت متجردًا السيف صَلتًا، فلقيه رسول الله ﷺ كَفَّةَ كَفَّةَ[٥]، فقال: «ما شأنك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قُتِلت، قال: «فما كنت صانعًا؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبي ﷺ بخير. قال سعيد: أرجو أن لا تضيع له عند الله عز وجل دعوة النبي ﷺ[٦].

٢- هجرته للحبشة:

ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله ﷺ ولأصحابه وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار «النجاشي» ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك، فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديدًا وخافوا أن يظهر ذلك الرجل، وهو لا يعرف حقَّ الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة ﭫ أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر من النيل[٧]، قالت أم سلمه ﭭ: فقال أصحاب رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت؟ وكان من أحدث القوم سنًا. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فَدَعَوْنَا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنَّا لَعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع ثوبه وهو يقول: ألا أبشُروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومَكَّن له في بلاده[٨]. وبعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله ﷺ، يتلقى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيه، وعندما هاجر رسول الله للمدينة كان الزبير ضمن المهاجرين إليها.

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٠)، الإصابة (١/ ٥٢٦- ٥٢٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤١).
(٣) سير السلف (١/ ٢٢٦) الرواية مرسلة.
(٤) الطبراني في الكبير (١/ ١٢٢).
(٥) كفة كفة: أي مواجهة كأن كل واحد منهما قد كَفَّ صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.
(٦) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٤) رقم (١٢٦٠) إسناده ضعيف حسن لغيره.
(٧) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٩)، أصحاب الرسول (١/ ٢٧٤).
(٨) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٩).

٣- في غزوة بدر:

كان الزبير ﷺ فارسًا مقدامًا، وبطلًا مغوارًا، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد، تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق[1]، ولقد بذل الزبير ﷺ، الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفًا لله عز وجل فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجرًا بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير[2]. فيالها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدي ابن عمة أحمد ووزيره ... عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس ... شهد الوغى في اللأمة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصرة ... بالحوض يوم تألب الأعداء[3]

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو ومدجج لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته في عينيه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه، فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قُبِضَ أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قُتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قُتل[4].

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان، وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جدًا لكونه حمى جسمه بالحديد الواقي، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف[5]، وقد كان يوم بدر مع رسول الله ﷺ فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة[6].

٤- في غزوة أحد:

قال الزبير ﷺ: جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد[7]، وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة، فقد اتصف ﷺ بالشجاعة والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله تعالى، وقد وصف لنا

---

(١) أهل الشورى الستة، رياض العبد الله، ص(٦٧).
(٢) الطبراني في الكبير رقم (٢٣٠) مرسل صحيح الإسناد، سير أعلام النبلاء (١/٤٦).
(٣) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٥٠١).
(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي رقم (٣٩٩٨).
(٥) التاريخ الإسلامي (٤/١٦٣).
(٦) سير أعلام النبلاء (١/٤٦) والرواية مرسلة.
(٧) فضائل الصحابة (٢/٩١٨) رقم (١٢٦٧) إسناده صحيح.

ﷺ ما فعله أبو دُجانة الأنصاري في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله ﷺ يشحذ همم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياته وأخذ سيفًا وقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا -وكان من ضمنهم الزبير- قال: «فمن يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دُجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني». قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه وكان رجلًا شجاعًا يختال عند الحرب -أي يمشي مشية المتكبر- وحين رآه رسول الله ﷺ يتبختر بين الصفين قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»[1]. ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت -وهكذا كانت تقول له إذا تعصب- فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول[2] أضرب بسيف الله والرسول[3]

فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله، وكان من المشركين رجل لا يدع جريحًا إلا ذفف[4] عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دُجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دُجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم[5].

قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنسانًا يحمس الناس حماسًا شديدًا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة[6]، وعن هشام عن أبيه، قالت عائشة: يا ابن أختي كان أبواك -يعني الزبير وأبا بكر- من ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]

لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: «مَنْ ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أنَّ بنا قوة»، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدوًا[7]، ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب ﷺ، في أحد جاءت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها، وقد مَثَّل به المشركون فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام:

---

(١) مسلم، كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٤٧٠).
(٢) الكيول: مؤخرة الصفوف.
(٣) البداية والنهاية (١٧/٤).
(٤) ذفف: أجهز عليه.
(٥) البداية والنهاية (١٨/٤).
(٦) البداية والنهاية (١٨/٤).
(٧) البخاري رقم (٤٠٧٧).

«القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها»، فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولِمَ؟ وقد بلغني أنه قد مُثِّل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ، إن شاء الله، فلما جاء الزبير بن العوام ﷺ، إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: «خَلِّ سبيلها»، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت[١]، واستغفرت له[٢]، وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير أنه لما كان أُحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: «المرأة المرأة». قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فَلَدَمَتْ في صدري، وكانت امرأة جَلدة، قالت: إليك، لا أرضَ لك. قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل، وقد فُعِلَ به كما فُعِلَ بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، والأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له[٣].

٥- في غزوة الخندق:

«لكل نبي حواري وحواريي الزبير»[٤]: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: «من يأتينا بخبر بني قريظة؟» فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «لكُل نبي حواري، وحواريي الزبير»[٥]، ومعنى قوله ﷺ«وحواريي الزبير»: أي: خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام، أي: خلصاؤه وأنصاره، فالحواري هو الناصر المخلص، فالحديث أشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميَّز بها الزبير، ﷺ، ولذلك سمع عبد الله بن عمر ﷺ، رجلًا يقول: أنا ابن الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[٦].

وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله ﷺ خُلصاء فما وجه التخصيص به؟ قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: «من يأتيني بخبر القوم؟» قال الزبير: أنا، قال: «من يأتيني بخبر القوم؟» فقال: أنا، وهكذا مرة ثالثة ولا شكَّ أنه في ذلك الوقت نصر نصرة زائدة على غيره[٧]. وقد فداه رسول الله ﷺ يوم الأحزاب بأبيه وأمه؛ فعن عبد الله بن الزبير قال: كُنْتُ يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمه في النساء فنظرت

---

(١) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١٠٨/٣).
(٣) مسند أحمد (٣٤/٣) الموسوعة الحديثية إسناده حسن.
(٤) مسلم رقم (٢٤١٤).
(٥) مسلم رقم (٢٤١٤).
(٦) مصنف ابن أبي شيبة رقم (١٢٢١٩)، صحيح.
(٧) عمدة القاري (٢٢٣٩/١٩).

فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا فلما رجعت قلت: يا أبت، رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «فداك أبي وأمي»(١).

وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير ﷺ، حيث فداه رسول الله ﷺ بأبويه، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله، واعتبار بأمره، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه، فيبذل نفسه أو أعز أهله له(٢).

لقد نَالَ الزبير في غزوة الخندق وسامًا خالدًا باقيًا على مر السنين «لكل نبي حواري وحواريي الزبير»(٣). لقد وصفَ النبي ﷺ الزبير بالحواري، وهو وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها، وأكثر من يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون، لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة؛ لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيرًا في نشر المبادئ والأفكار، لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها؛ ولأن الحواريين يأخذون بسُنَّة الرسول ﷺ ويقتدون بأمره(٤)، كما جاء في الحديث: ((ما مَنْ نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كانَ له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنَّته ويقتدون بأمره»(٥).

ومن سنن الدعوات أن مسيراتها تمر بالفتن والمحن وتبتلى من أصدقائها وأعدائها، وحرص الرسول ﷺ على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون»(٦) فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقي والإخلاص والفداء التي هي أبرز صفات الحواريين، فيكون مثالًا حقيقيًا لورثة الأنبياء، فيسعى لنشر الحق والخير وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها، ويضحي في سبيل الله بكل غالٍ ونفيس ليجدد للإسلام شبابه ونضارته، في الوقت الذي يكون ساقطو الهمة لا هَمَّ لهم إلا مصلحتهم الشخصية(٧).

والزبير بن العوام، ﷺ، نموذج فذ في تجسيد هذه المعاني، فقد تربى في أحضان الدعوة على يدي النبي ﷺ، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر، وموقف الزبير

(١) البخاري رقم (٣٧٢٠).
(٢) تُحفة الأحوذي (١٠/٢٤٦).
(٣) مسلم رقم (٢٤١٤).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٢٦، ٢٧).
(٥) دراسات تربوية للأعظمي، ص(٢٠٦).
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٢٦، ٢٧).
(٧) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، ص(٢٠٧).

في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشأته على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول ﷺ، وأثبتت الأيام أنه كان رضي الله عنه رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام فكُلف بمهمة كشف أسرار العدو، وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الدُّعاة كل حسب إخلاصه وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته[(١)]. هذا وقد شارك الزبير في كل غزوات الرسول ﷺ وكانت له مواقف مشرفة، وكان في عهد الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة رضي الله عنه.

٦- في غزوة اليرموك:

عن عروة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم. فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شَقَّ صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُقبلًا فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذٍ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكَّل به رجلًا[(٢)].

قال الذهبي في السِّير معلقًا: هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين[(٣)]، وذكر ابن كثير أن الموقعة هي «اليرموك» ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين. فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد «اليرموك» الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذٍ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى، فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه، ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجُرح يومئذٍ جُرحين بين كتفيه، وفي رواية: جُرح[(٤)].

ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهدًا، فشهد اليرموك، فتشرَّفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم[(٥)].

٧- في فتح مصر:

ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو،

---

(١) دراسات تربوية، ص(٢٠٨).
(٢) البخاري رقم (٣٩٧٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٣).
(٤) البداية والنهاية (١/ ٦٣).
(٥) المصدر السابق (٧/ ٢٦٠).

فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفًا، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف.

وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[1]، وحين قدم الزبير على عمرو، وجده محاصرًا حصن بابليون فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون[2].

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سُلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يُكبِّر ومعه السيف، فتحامل الناس على السُلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس[3].

٨- غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير رضي الله عنه وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأَسُوسُه، وأدق النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكُنَّ نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثُلثي فرسخ، قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: «إخْ إخْ»، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني[4].

---

(١) فتوح مصر والمغرب، ص(٦١)، قادة فتح الشام ومصر، ص(٢٠٨- ٢٢٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٥).
(٣) قادة فتح الشام ومصر، ص(٢٠٩- ٢٢٧).
(٤) حياة الصحابة (٢/ ٦٩١)، أصحاب الرسول (١/ ٢٨١).

٩- تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء:

من شدة حب الزبير ﷺ، للشهادة، كان أن سَمَّي أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إنَّ طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وإني أسمي بأسماء الشُّهداء لعلهم يستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قُتِل باليرموك[١].

١٠- إخفاء الطاعات عند الزبير:

قال الزبير بن العوام ﷺ: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل[٢].

١١- ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير:

مرَّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ، وحسان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير، ثم قال: ما لي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة؟ فلقد كان يعرض به رسول الله ﷺ، فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه، فقال حسان يمدح الزبير:

أقام على عهد النبي وهديه ... حواريه والقول بالفعل يُعدل
أقام على منهاجه وطريقه ... يوالي وليّ الحق والحقُّ أعدلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يوم محجَّلُ
إذا كشفت عن ساقها الحرب حَشَّها ... بأبيض سباق إلى الموت يُرْقِلُ[٣]
وإن امرؤ كانت صفية أمُّهُ ... ومن أسد في بيتها لَمُرَتَّلُ[٤]
له من رسول الله قُربى قريبة ... ومن نصرة الإسلام مجد مؤثَّلُ[٥]
فكم كربة ذب الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي فيجزل
ثناؤك خير من فعال معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل[٦]

١٢- كرم الزبير بن العوام ﷺ:

روي عن عروة بن الزبير أنه قال: أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة منهم: عثمان، وابن مسعود، وعبد الرحمن، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم[٧].

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص(٥٠٥)، الطبقات (١٠١/٣).
(٢) الزهد لابن المبارك، ص(٣٩٢).
(٣) يرقل: يسرع، وهي سرعة الإبل.
(٤) في الديوان، وعند الحاكم لمرفل: وهو العظيم المبجل.
(٥) سير أعلام النبلاء (٥٦/١).
(٦) المصدر السابق (٥٧/١).
(٧) سير أعلام النبلاء (١٣١/١).

وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسّم المعاني السامية في النفس حتى تبقى هي الماثلة في الضمير الحي، وتبعًا لذلك يُسخِّر هذا الضمير الحي كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعاني، وقد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترضها شيء من الفتور، فأما أن يتكفَّل مثل هذا الشهم السخي بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة، ويحفظ لهم أموالهم فهو نموذج فريد في عالم الواقع، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقي الأخلاقي لدى الصحابة ﷺ[١].

١٣- وحان وقت الرحيل... وشهادة رسول الله له بدخول الجنة:

خرج الزبير بن العوام، ﷺ، من معركة الجمل في الجولة الأولى وقد بينا الأسباب في تركه لساحة المعركة، وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تَركُ الأمور التي أخشى عواقبها ... في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقد علمتُ لو أن علمي نافعي ... أن الحياة من الممات قريب[٢]

وبعد خروجه تبعه عمرو بن جرموز وفُضَالة بن حابس ونفيع في طائفة من غُواة بني تميم فيقال: إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه، ويُقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة، فقال: ادن، فقال مولى الزبير -واسمه عيطة-: إن معه سلاحًا. فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة، فقال له الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله، ويقال: بل أدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع وهو نائم في القائلة[٣]، فهجم عليه فقتله، وهذا هو القول الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها، وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقُتِلَ عنها، وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقُتِلَ عنها، فلما قُتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

غدرَ ابنُ جرموز بفارس بهمة ... يومَ اللقاء وكان غرٌّ معرد[٤]

يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشًا رعشَ الجنان[٥] ولا اليد

ثكلتك أمُكَ أن ظفرتَ بمثله ... ممن بقى ممن يروح ويغتدي

كمْ غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا ابن فقع العردد[٦]

والله ربي إن قتلت لمسلمًا ... حلت عليك عقوبة المتعمد[٧]

---

(١) التاريخ الإسلامي (١٧/ ١٣١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٠).
(٣) القائلة: وقت اشتداد حرّ الظهيرة.
(٤) معرد: المعرد: الصلب والشجاع.
(٥) الجنان: القلب.
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١)، العردد: الصلب الشديد.
(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى علي، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: بشِّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله يقول: «لكل نبي حواري وحواريي الزبير»[١]، ولما رأى عليٌّ سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله[٢]، وفي رواية: منع أمير المؤمنين علي ابن جرموز من الدخول عليه، وقال: بشِّر قاتل ابن صفية بالنار[٣]، ويقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز ههنا وهو مختفٍ، فهل لك فيه؟ فقال: مُروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد[٤] للزبير منه، فهو أحقر من أن أجعله عدلًا للزبير[٥].

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبيرَ سيموت شهيدًا، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم[٦]، قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم -غير النبي ﷺ وأبى بكر- شهداء، فإن عمرَ وعثمانَ وعليًّا وطلحةَ والزبير رضي الله عنهم قُتِلوا ظلمًا شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقُتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال، فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قُتل مظلومًا فهو شهيد[٧].

قال الشعبي: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: عليٌّ وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر الله تعالى أنه رضي الله عنهم ورضوا عنه؛ ولأن الأربعة قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قَتلوا الأربعة[٨].

١٤- حِرْصه على أداء دَيْنه عند الموت:

عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بديْنه، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبتِ من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دين إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجلَ كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف فإني أخشى

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٩٢٠).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٣) الطبقات (٣/ ١٠٥) إسناده حسن، خلافة علي، ص(١٦٤) عبد الحميد.
(٤) أقيد: قود: القتل بالقاتل.
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٦) مسلم رقم (٢٤١٧).
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٧١).
(٨) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢).

عليه الضيعة. قال: فقُتِل ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين، فبعتها -يعني وقضيت دينه- فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسَّم بينهم، وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف[1]، وقول البخاري رحمه الله، محمول على أن جملةَ المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربع سنين دون القسمة[2]، وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير[3]، وبارك الله له في أراضيه بعد موته، فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير، وفي هذه القصة درس وعبر وفوائد:

(أ) قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي؛ وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوى الذي ترتَّب عليه صدق التوكل على الله عز وجل، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازمًا بأن كل شيء بيد الله جلَّ وعلا، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء، وأن المخلوقين الذين يُشكِّلون طرفًا آخر في قضيته إنما هم في قبضة البارئ جل وعلا، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء، فليلجأ إليه قبل كل شيء ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدِّر هو الله تعالى، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها[4] المعروفة.

(ب) هل كان الزبير ﷺ من الأثرياء؟ نرى النصَّ السابق ينطق بأن الزبير ﷺ، ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك، بل كان يشعر بالضائقة ويهمه أمر ما في ذمته من أموال وديون، وكان يخشى ألا تفي أرضه وعقاره بما عليه من أموال، كما ينطق هذا النص أيضًا بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف أباه في توقعه، بل كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ فلا يجد عبد الله جوابًا لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه، لأجابه مطمئنًا إياه في هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدِّر ويتوقَّع، بل تجده يجارى أباه صراحة في توقعه، فيسأله - عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه-: مَنْ مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطًا بثروة أبيه، عارفًا بأملاكه، فإن عبد الله كان في ذلك الوقت في سنِّ الخامسة والثلاثين، ومَنْ يكن في مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهيرًا لأبيه عالمًا بكل أحواله وأمواله، وبخاصة

(١) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٢) شذرات الذهب (١/ ٢٠٩).
(٣) الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٦١).
(٤) التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٣٠٩).

إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد اللهَ صَرَّح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلًا ولا هينًا، فيقول: فوالله ما وقعت في كُربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير، اقض عنه دينه فيقضَيه[1].

ومما يشهد أيضًا بأن الزبير لم يكن معدودًا من الأغنياء وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله، أن حكيم بن حزام رضي الله عنه -وهو ابن عم الزبير- تلقى عبد الله بن الزبير فيقول له: ما أراكم تطيقون هذا الذي عليكم من الديون فإن عجزتم عن شيء منه، فاستعينوا بي[2].

ودليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه لعبد الله ابن الزبير -وكان له عند الزبير أربعمائة ألف- فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله بن الزبير: لا، قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم[3]، فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ويعدانه ممن يحتاج إلى عون ومساعدة، ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحواله، فأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وهو يتعامل معه أخذًا وعطاءً واقتراضًا وائتمانًا، فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير رضي الله عنه، ما كان من أصحاب الثروات[4].

وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله؛ ففي بعض المصادر أنه كان له ألف مملوك، وأن الألفَ مملوك كانوا يؤدون إليه الخَرَاج كل يوم، فما يدخل إلى بيته منها درهم واحد، يتصدق بذلك جميعه[5]. لكن المستشرق الذائع الصيت «ول ديورانت» جعل الألف عشرة آلاف، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد. ثم أضاف إليها ألف جواد[6].

وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خبر تصدق الزبير بخراج مماليكه[7]، وهذا الخبر لا يقف أمام رواية البخاري، إذ جاء فيها «فقتل الزبير ولم يترك دينارًا ولا درهمًا، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة دارًا بالمدينة، ودارين بالبصرة، ودارًا بالكوفة، ودارًا بمصر»[8]، فالرواية واضحة، وهي بأسلوب الحصر، وفي مقام الحديث عن همِّ الدين، والكُرب التي كانت في سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيمة وقدر، ألا يساوى

---

(١) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٢) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٣) البخاري رقم (٣١٢٩).
(٤) الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الديب ص(٩).
(٥) سير السلف الصالحين (١/ ٢٢٧) في إسناده ضعف.
(٦) الزبير بن العوام، الثروة الثورة ص(١١).
(٧) المصدر السابق ص(١٣).
(٨) البخاري (٣١٢٩).

المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم[١]، فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلًا؟! هذا كله على فرض أنها كانت ألفًا فقط، أما إذا أخذنا بشطحة ول ديورانت، وأنها عشرة آلاف مملوك، فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها -مهما كان بخسًا- أن يُسدد ديونه، ويغرق ورثته في لجج الثراء، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لَدَيني. ولا أن يسأله: أفترى يبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني، فاستعن عليه بمولاي[٢].

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين علي وعصره، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي، كما أن التشويهَ الذين لَحِقَ بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية، فبيان سيرتهم، وأخلاقهم وصفاتهم واجب علينا، وحتى يخرج القارئ بمعرفة حقيقية لهذه الشخصيات، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوَّهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي أسهمت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارئ من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين.

تاسعًا: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده

هو أبو محمد طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[٣]، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة، وعدد ما بينهم من الآباء سواء[٤]، وأمه رضي الله عنها الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي[٥]، أسلمت ولها صحبة، وظفرت بشرف الهجرة[٦]، وطلحة رضي الله عنه أحد العشرة الذين بُشروا بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأحد الستة أصحاب الشورى[٧].

---

(١) الزبير بن العوام، الثروة والثورة: ص(١٤).

(٢) البخاري رقم (٣١٢٩).

(٣) الإصابة (٢/ ٢٢٠)، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (٢/ ٢١٠).

(٤) فتح الباري (٧/ ٨٢).

(٥) الإصابة (٢/ ٢٢٠).

(٦) المصدر السابق (٤/ ٣٣٧)، فتح الباري (٧/ ٨٢).

(٧) المستدرك للحاكم (٣/ ٣٦٩)، عقيدة أهل السنة في الصحابة (١/ ٢٢٨).

١- إسلامه وابتلاؤه وهجرته:

قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد منْ أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نَخْل، وحرّة[١] وسباخ[٢]، فإياك أن تُسبق إليه. قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي، فخرجت سريعًا حتى قدمتُ مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل عليه، فاتّبعه، فإنه يدعو إلى الحق وإلى الخير. وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب، فسر رسول الله ﷺ.

فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية، فشدّهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يُدعى أسد قريش؛ ولذلك سُمّي أبو بكر وطلحة القرينين[٣]، هذا وقد أوذي طلحة في الله ولقي أذى كبيرًا من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقي طلحة رضي الله عنه صابرًا على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة، ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة لقيه طلحة قادمًا من الشام في عير، فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب الشام، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من تجارته، ثم خرج بعد ذلك بآل أبي بكر؛ فهو الذي قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأوّلين رضي الله عنهم[٤]، ولما قدم المدينة آخي رسول الله بينه وبين أبي أيوب الأنصاري[٥]، وقيل كعب بن مالك الأنصاري، حين آخي بين المهاجرين والأنصار[٦].

٢- في غزوة بدر:

كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قد كُلف بتحسس عير قريش، وذلك لما تحيّن رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث ﷺ طلحة وسعيد بن زيد رضي الله عنهما يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار،

---

(١) حرة: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات.
(٢) سباخ: جمع سبخة، وهي أرض ذات نز وملح.
(٣) البداية والنهاية (٧/٢٥٨).
(٤) المصدر السابق(٧/٢٥٨)، فرسان من عصر النبوة: ص(٢٢٥).
(٥) البداية والنهاية (٧/٢٥٨).
(٦) فرسان من عصر النبوة: ص(٢٢٥)، الاستيعاب لابن عبد البر.

وكان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر فأسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما، سهمًا كالمقاتلين، وأجرًا كالمجاهدين[1].

٣- في غزوة أحد:

أوجب طلحة ﷺ: عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثنى عشر رجلًا منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي ﷺ: «من للقوم؟» قال طلحة: أنا. قال: «كما أنت»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فقاتل حتى قُتل. ثم التفت ﷺ، فإذا المشركون، فقال: «مَن لهم؟» قال طلحة: أنا. قال: «كما أنت»، فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: «أنت»، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله (طلحة) فقال: «من للقوم؟» قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: حِسٍّ. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين[2]، وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ: «لو قلت بسم الله لرأيت يُبني لك بها بيت في الجنة وأنت حيّ في الدنيا»[3].

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ يوم أحد[4]، وجُرح في تلك الغزوة تسعًا وثلاثين، أو خمسًا وثلاثين وشُلّت أصبعه - أي السبابة والتي تليها -[5]، وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة ﷺ قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحُد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[6]، وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحد أربعًا وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجةٌ مربعة، وقُطع نساه - يعنى العرق - وشُلَّت إصبعه، وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغَشْيُ - الإغماء - ورسول الله ﷺ يرجع به القهقرى؛ كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب[7]، حتى قال عنه ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع»[8].

٤ - شهيد يمشي على الأرض:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ﷺ[9]. فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيدًا وذلك

---

(١) الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٩)، الاستيعاب (٤١٨٨).

(٢) السلسلة الصحيحة رقم (٢١٧١)، الحديث حسن بمجموع طرقه.

(٣) فضائل الصحابة رقم (١٢٩٤) إسناده صحيح.

(٤) البخاري رقم (٤٠٦٣).

(٥) البخاري (٧/ ٣٦١)، أصحاب الرسول (١/ ٢٦٤).

(٦) فتح الباري (٧/ ٣٦١).

(٧) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).

(٨) صحيح الجامع للألباني رقم (٢٥٤٠).

(٩) مسلم رقم (٢٤١٧).

بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى ﷺ ظل يبحث عن شهادته في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ عدا غزوة بدر[(١)]، فقد كان في مهمة كلفه بها رسول الله ﷺ كما مرّ معنا، وقال عنه النبي ﷺ «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**»[(٢)].

٥- من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمن قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته، يوقرونه ويهابونه، قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد - يعنى طلحة - وعليَّ ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «**أين السائل عمن قضى نحبه؟**» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال: «**هذا ممن قضى نحبه**»[(٣)].

٦- دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم:

عن مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني، هو أعلم لحديث رسول الله منكم- يعنى أبا هريرة - نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما أن قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك؛ إنّا كنا أهل بيوت، وكنا إنما نأتي رسول الله غُدوة وعشية، وكان مسكينًا لا مال له - أبو هريرة - إنما هو باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحدًا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يَقُلْ[(٤)]. وفي هذه القصة درس مفيد في الدفاع عن العلماء والفقهاء الصالحين.

٧- إنفاقه في سبيل الله:

عن قبيصة بن جابر، قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه[(٥)]، وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه ماله من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ. فقال: ما ظنّ رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك، فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه. فقال لها: رحمك الله إنك، موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي: قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[(٦)].

---

(١) أصحاب الرسول (١/ ٢٦٠).
(٢) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٢).
(٣) رواه الترمذي بإسناد حسن رقم (٣٧٤٢).
(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧) إسناده حسن.
(٥) الحلية (١/ ٨٨)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٠).
(٦) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١/ ٣٠، ٣١).

وعن سُعدي بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة يومًا وهو خاثر(١)، فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله، نعم خليلة المسلم أنتِ، ولكن مالٌ عندي قد غمَّني. فقلت: ما يغُمُّك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام، ادع لي قومي، فقسَّمه فيهم، فسألت الخازن، كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف(٢) ، وعن الحسن البصري أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضًا له بسبعمائة ألفٍ فبات أرقًا من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرَّقه(٣)، وعن عليّ بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألني بها أحد قبلك، إن لي أرضًا قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفعت إليك الثمن، فقال: الثمن، فأعطاه. وكان ﷺ لا يدع أحدًا من بني تيم عائلًا إلا كفاه وقضى دينه، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشرة آلاف(٤)، إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود(٥)، وقد سماه رسول الله بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة أن طلحة نحر جزورًا وحفر بئرًا يوم ذي قرد(٦)، فأطعمهم وسقاهم فقال النبي ﷺ: «يا طلحة الفياض». فسمي طلحة الفياض(٧).

٨- من فرائد أقواله ودُرَر جواهر كلامه:

فمن أقواله: إن أَقَلَّ عيب الرجل جلوسه في بيته(٨)، ومما حفظ عنه قوله: الكسوة تظهر النّعمة، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء(٩). ولطلحة ﷺ آراء ثاقبة وصحيحة في الناس، فكان لا يشاور بخيلًا في صلة ولا جبانًا في حرب(١٠).

٩- شهادة طلحة بن عبيد الله ﷺ:

لما حضر يوم الجمل واجتمع به عليٌّ فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع على ركبته، وقيل في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كان يلقيه، وجعل يقول: إليَّ عباد الله، فأدركه مولًى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعركة، وإن عليًا لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب(١١)، ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلًا في الأودية، ثم قال. إلى

---

(١) خاثر النفس: غير نشيط.
(٢) مجمع الزوائد (٩/ ١٤٨) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).
(٤) المصدر السابق(١/ ٣١).
(٥) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: ص(٥٢٧).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).
(٧) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر، النهاية (٤/ ٣٧).
(٨) المستدرك (٣/ ٣٧٤)، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه، مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٢٠٣)، يقصد: أن العزلة بُعْدٌ عن الاهتمام.
(٩) فرسان من عصر النبوة، ص(٢٣٧).
(١٠) فرسان من عصر النبوة، ص(٢٣٧).
(١١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

الله أشكو عُجري وبُجري[١]، وترحم عليه وقال: ليتني مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة[٢]، ولا شك أن طلحة بن عبيد الله ﷺ من أهل الجنة؛ فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، والزبير وعبد الرحمن بن عوف في الجنة». ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ نحو هذا[٣]، ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة ﷺ؛ حيث شهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة وأكرِمْ بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة[٤].

١٠- حفظ الله له بعد موته:

إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله ﷺ بعد موته؛ فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عامًا، ونقلوه إلى مكان آخر، فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شِقّي لحيته، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان، فإن النَّزَّ - الرطوبة أو الماء - قد آذاني. فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في أحد شَقي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة[٥]، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

١١- سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعليّ وطلحة والزبير ﷺ:

عن سعيد بن المسيب أن رجلًا كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي ﷺ، فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطًا لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته[٦] والبلاط، فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك[٧].

---

(١) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.
(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص(٥٢٨).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، الترمذي (٣٧٥٧) حديث حسن.
(٤) عقيدة أهل السنة (١/ ٢٩٣).
(٥) أصحاب الرسول (١/ ٢٧٠).
(٦) الكركرة: الصدر.
(٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٩).

المبحث الثاني

معركة صفين (٣٧هـ)

أولًا: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

١- أم حبيبة بنت أبي سفيان ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام:

لما قُتل عثمان ﷺ أرسلت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان: أرسلوا إليَّ بثياب عثمان التي قُتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرَّجًا بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها[1].

وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها[2]، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية[3]، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحثَّ بعضهم بعضًا على الأخذ بثأره[4]، وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية: كان عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا[5].

وآلي رجال الشام ألا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم[6].

وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة بشعة؛ مقتل الخليفة، سيوفًا مصلتة من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال متهكًا مسلوبًا، وأصابع نائلة مقطوعة، فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون.

ولا غرابة بعد هذا إطلاقًا أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة؟![7].

---

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص(٣٥٩).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩).
(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل، ص(٣٩٨).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩) سندها ضعيف.
(٥) الأنساب (٤/ ٤١٨)، تاريخ الدعوة الإسلامية ص(٣٩٨).
(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠).
(٧) معاوية بن أبي سفيان للغضبان، ص(١٧٨- ١٨٣).

٢- دوافع معاوية في عدم البيعة:

كان معاوية ﷺ واليًا على الشام في عهد عمر وعثمان ﷺ، ولما تولى الخلافة عليٌّ أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فاعتذر ابن عمر، فأرسل عليٌّ سهل بن حنيف بدلًا منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام -وادي القرى- حتى عاد من حيث جاء؛ إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري، فقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع [١].

لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة، ورأوا أن يقتص علي ﷺ من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة [٢]، وقالوا: لا نبايع من يؤوى القتلة [٣]، وتخوفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قاتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قُتل مظلومًا باتفاق المسلمين، وقَتَلَتُه في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا، وضاع دم عثمان.

وكان معاوية ﷺ يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه؛ فهو ولي دمه، والله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان، وأنه قُتل مظلومًا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام؛ إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات، وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم -واسمه مرة بن كعب- فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم [٤].

وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قَتَلَةِ عثمان، وكان منشطًا ودافعًا قويًّا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة ﷺ، قالت: أرسل رسول الله ﷺ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: «يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثًا، فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله فما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان، فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إليَّ به، فكتبت إليه به كتابًا [٥].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٦).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٢٩).
(٣) العواصم من القواصم، ص(١٦٢).
(٤) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤٠).
(٥) مسند أحمد رقم (٢٤٠٤٥) حديث صحيح.

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليس لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق؛ إذ كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر منه[1]، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

٣- معاوية يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

بعث علي رضي الله عنه كتبًا كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مرارًا إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طُومارًا[2] مع رجل، فدخل به على عليّ فقال له علي: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القَوَد[3]، كلهم موتور[4]، تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان.

ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهمَّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد[5].

٤- تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك:

بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين علي، عزم الخليفة على قتال أهل الشام، فكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان بن حُنيف بذلك، وخطب الناس فحثَّهم على ذلك، وعزم على التجهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قُثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس.

وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال: يا أبه، دَعْ هذا فإنَّ فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك؛ بل صمم على القتال، ورتَّب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد ابن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصدًا الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك[6]، وقد تم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة إلى معركة الجمل.

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي، ص(١١٢).
(٢) الطومار: الصحيفة.
(٣) القود: القاتل بالقتيل.
(٤) الموتور: صاحب الثأر.
(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠).
(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠، ٢٤١).

٥- بعد معركة الجمل أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى معاوية:

ذُكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين علي إلى فتنة السبئية الثانية أو ما يُسمى البصرة أو معركة الجمل خمسة أشهر وواحد وعشرون يومًا، وبين دخوله الكوفة شهر، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر[١]، ورُوي: شهران أو ثلاثة[٢] ، وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره لذلك.

فنزل في الرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين، ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على همذان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان يأمرهما أن يأخذا البيعة له على مَنْ هُنالك ثم يُقبلان إليه، ففعلا ذلك.

فلما أراد علي أن يبعث إلى معاوية ﷺ يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلي: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإنَّ بيني وبينه وُدًّا، فآخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإني أخشى أن يكون هواه معه، فقال علي: دعه. فبعثه وكتب معه كتابًا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلمَّا انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم.

فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرًا؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية بابًا إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثمَّ لقتلوك بدم عثمان، فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يُعْنني جواب معاوية، ولأعجلنّه عن الفكرة، ولو أطاعني قبل أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمّة.

فقام جرير مُغْضبًا فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[٣].

وهكذا كان الأشتر سببًا في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله الذي كان واليًا على قرقيسياء وعلى غيرها، ورأسًا في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي. وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي، وقال ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحةُ مَلَك»[٤].

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).
(٢) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١٠٢).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥).
(٤) مسلم رقم (٢٤٧٥).

٦- مسير أمير المؤمنين إلى الشام

استعد أمير المؤمنين علي لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس [(١)]، وجهز جيشًا ضخمًا اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات ضعيفة [(٢)] إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفًا [(٣)].

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالنخيلة [(٤)]، وهو على بُعد ميلين من الكوفة آنذاك، فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق [(٥)]، واستعمل أمير المؤمنين علي أبا مسعود الأنصاري، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، ثم خرج علي ﷺ بجيشه إلى المدائن -بغداد- فانضم إليه فيها من المقاتلة وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلى الموصل [(٦)]، وسلك ﷺ طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي حتى بلغ قرب قرقيسياء [(٧)]، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم علي إلى الرقة [(٨)]، وعبر منها الفرات غربًا ونزل على صفين [(٩)].

٧- خروج معاوية إلى صفين

كان معاوية جادًّا في مطاردة قتلة عثمان ﷺ، فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غزوا المدينة من المصريين أثناء عودتهم وقتلهم، ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعي [(١٠)]، ثم كانت له أيدٍ في مصر وشيعة في أهل «خربتا» تطالب بدم عثمان ﷺ، وقد استطاعت هذه الفرقة إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام (٣٦هـ)، كما استطاع -أيضًا- أن يوقع برءوس مدبري ومخططي غزو المدينة من المصريين؛ مثل: عبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة فحبسهم في فلسطين، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلى صفين، ثم قتلهم في شهر ذي الحجة عام (٣٦هـ) [(١١)].

---

(١) الإصابة (١/ ١٢٣، ١٢٤) نقلًا عن الحاكم بسند حسن.

(٢) مَنْ قال: مائة وخمسون ألفًا أو يزيدون، البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠) مائة وعشرون ألفًا، المعرفة والتاريخ (٣/ ١٣) بسند منقطع، وقدر بتسعين ألفًا: تاريخ خليفة بن خياط، ص(١٩٣).

(٣) تاريخ خليفة، ص(١٩٣) بسند حسن.

(٤) موقع قرب الكوفة من جهة الشام، معجم البلدان (٥/ ٢٧٨).

(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(١٨٨).

(٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٣) بسند حسن إلى عوانة منقطعًا.

(٧) قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات، معجم البلدان (٤/ ٣٢٨).

(٨) الرقة: مدينة مشهورة -في سوريا اليوم- على نهر الفرات الشرقي، معجم البلدان (٣/ ١٥٣).

(٩) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٤).

(١٠) المحن لأبي العرب التميمي، ص(١٢٤) خلافة علي، عبد الحميد، ص(١٩١).

(١١) خلافة على، عبد الحميد، ص(١٩١).

وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن عليًا نهد إليكم في أهل العراق.. فقال ذو الكلاع الحميري: عليك امرأى وعلينا امفعال(١)(٢).

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه، والقتال(٣)، وقد قام عمرو بن العاص رضي الله عنه بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيبًا يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي وقد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة، ومنهم من قد قَتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه، وفي دمكم أن تبطلوه(٤).

وسار معاوية في جيش ضخم، اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهي عين الروايات التي قدرت جيش علي رضي الله عنه، فقُدِّر بمائة ألف وعشرين ألفًا(٥)، وقُدِّر بسبعين ألف مقاتل، وقُدِّر بأكثر من ذلك بكثير(٦)، إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهي وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسي، حمصي من أهل الشام، ولد عام (٧٢هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلقًا ممن شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته(٧)، والإسناد إليه صحيح(٨).

وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميري على ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمي على المقدمة. هؤلاء هم القادة الكبار، وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزِّعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر(٩).

وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات عسكر في سهل فسيح، إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها في حيزه(١٠).

---

(١) لغة حمير في إبدال لام (أل) التعريف ميمًا؛ أي: عليك الرأي وعلينا الفعال.
(٢) الإصابة (١/ ٤٨٠) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(١٩٢).
(٣) أنساب الأشراف (٢/ ٥٢) بسنده منقطع، خلافة علي، ص(١٩٢).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠١) بسند منقطع.
(٥) خلافة علي بن أبي طالب، ص(١٩٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٣).
(٦) خلافة علي، ص(١٩٤) تاريخ خليفة، ص(١٩٣).
(٧) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٠).
(٨) خلافة علي بن أبي طالب، ص(١٩٤).
(٩) استداد العرب في صدر الإسلام، صالح العلي، ص(٧٣) خلافة علي، ص(١٩٤).
(١٠) صفين، نصر بن مزاحم، ص(١٦٠، ١٦١).

٨- القتال على الماء:

وصل جيش علي رضي الله عنه إلى صفين؛ حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعًا فسيحًا سهلًا يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعًا ما؛ إذ أغلب الأرض صخور ذات كدي وأكمات[1]، فوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء، فهرع البعض إلى علي رضي الله عنه يشكون إليه هذا الأمر، فأرسل علي إلى الأشعث بن قيس فخرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين، انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء[2].

إلا أنه قد وردت رواية تنفي وقوع القتال في أصله مفادها: أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية في أمة محمد ﷺ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذراري؟ إن الله يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] قال معاوية: فما تريد؟ قال: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خلِّ بين إخواننا وبين الماء[3].

وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين؛ إذ استمر القتال بينهما متواصلًا طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان علي رضي الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمِّر عليها أميرًا، فتقتتلان مرة واحدة في اليوم؛ في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان تقتتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي: الأشتر، وحجر بن عدي، وشبث بن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي.

ومن جيش معاوية أغلب من يخرج: حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش؛ خشية الهلاك والاستئصال، وأملًا في وقوع صلح بين الطرفَين، تصان به الأرواح والدماء[4].

٩- الموادعة بينهما ومحاولات الصلح:

ما إن دخل شهر المحرم حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة؛ طمعًا في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه

---

(١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(١٩٦) النصر المبين.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٤) بسند حسن.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١) مرويات أبي مخنف، ص(٢٩٦).

(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(١٩٧، ١٩٨)

الفترة -شهر المحرم- وردت من طرق ضعيفة[١] مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها.

كان البادئ بالمراسلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية ﷺ يدعوه كما دعاه من قبل إلى الدخول في الجماعة والمبايعة، فرد معاوية عليه برده السابق المعروف بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولًا، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية[٢].

كما أن قراء الفريقين قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه[٣]، وقد حاول اثنان من الصحابة، وهما: أبو الدرداء، وأبو أمامة ﷺ الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما -أيضًا- لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما[٤]، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع -أحد كبار التابعين- فوعظ وخوف ولم يقاتل[٥].

وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: «. . . ثم ذكر أهل السير كلامًا طويلًا جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاري ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهما إنما دخلا في الإسلام ولم يزالا في تردد فيه، وغير ذلك، وأنه قال في ذلك: لا أقول إن عثمان قُتل مظلومًا ولا ظالما. . . وهذا عندي لا يصح من علي ﷺ»[٦]، وموقف علي ﷺ من قتل عثمان واضح قد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان ﷺ، وفي هذا الكتاب.

ثانيًا: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية؛ خشية الالتحام الكلي إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة، وذُكر أنها تسعون[٧] إلا أن عليًّا أعلن في جيشه أن غدًا الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك[٨]، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فلَّ سلاحه، وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال[٩]، وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

البداية والنهاية (٧/ ٢٦٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٤).

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢، ٦١٣) خلافة علي بن أبي طالب، ص(١٩٩).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٣) خلافة علي بن أبي طالب، ص١٩ .

(٣) المصدر نفسه (٥/ ٦١٤).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٧) بدون إسناد.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٩).

(٧) الأنباء بتواريخ الخلفاء، ص(٥٩) صفين، ص(٢٠٢) شذرات الذهب (١/ ٤٥).

(٨) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣).

(٩) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٤٠) ضعيف.

١- اليوم الأول:

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتَّبع في المعارك الكبرى: قلب وميمنة وميسرة، فكان جيش علي ﷺ على النحو التالي[١]: علي بن أبي طالب على القلب، وعبد الله بن عباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجالة، ومحمد ابن الحنفية حامل الراية، وهشام بن عتبة -المرقال- حامل اللواء، والأشعث بن قيس على الميمنة.

وأما جيش الشام؛ فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تلٍّ مرتفع، وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مُضر، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء[٢]، وتقابلت الجيوش الإسلامية ومن كثرتها قد سدت الأفق.

ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب[٣] وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد ثبتوا إلى نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعدادًا لهذا اليوم:

أصبحت الأمة في أمر عجب ... والملك مجموع غدًا لمن غلب
فقلت قولًا صادقًا غير كذب ... إن غدًا تهلك أعلام العرب[٤]

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن عليًا خطب في جيشه، وحرضهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله[٥]، وتذكر -أيضًا- أن عمرو بن العاص قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها[٦]، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها؛ لأن كلَّ قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهتم بكل ما يؤدي به إلى النصر.

والتحم الجيشان في قتالٍ عنيفٍ، استمر محتدمًا إلى غروب الشمس، لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلي كل فريق في معسكره، وبينهما جثث القتلى في الميدان تفصل بينهما، وسأل أحدُ أفراد الجيش عليًا ﷺ حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول في قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: مَنْ قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة[٧].

وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحدًا، ولم يرَ موليًا حتى انتهى ذلك اليوم. وفي المساء خرج علي ﷺ إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلًا: اللهم اغفر لي ولهم[٨].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص(١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) شاعر تغلب في عصره، مخضرم، شهد صفين مع معاوية، وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، الأعلام للزركلي (٦/ ١٨٠).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣) تاريخ الطبري (٥/ ٢٦٢).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٢) من طريق أبي مخنف.
(٦) الطبقات (٤/ ٢٥٥) من طريق الواقدي.
(٧) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥) بسند ضعيف.
(٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٧) بسند ضعيف.

٢- اليوم الثاني:

في يوم الخميس تذكر الروايات أن عليًا ﷺ قد غلس بصلاة الفجر واستعد للهجوم، وغيَّر بعض القيادات؛ فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلًا من الأشعث بن قيس الكندي الذي تحول إلى الميسرة[١]، وزحف الفريقان نحو بعضهما، واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم، وأظهروا تفوقًا على أهل الشام، واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية، وعليها حبيب بن مسلمة، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية -الشهباء- وأظهر شجاعة وحماسًا منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئي تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإكراهي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي[٢]

واستحث كتيبته الشهباء، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم على الموت، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة، وقُتل عدد من أبرزهم: ذو الكلاع، وحوشب، وعبيد الله بن الخطاب ﷺ، وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدمًا، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحر القتل في أهل العراق، وكثرت الجراحات، ولما رأى علي جيشه في تراجع أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالًا شديدًا، واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيه الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال[٣].

وكان عمّار بن ياسر ﷺ قد جاوز الرابعة والتسعين عامًا، وكان يحارب بحماس؛ يحرض الناس، ويستنهض الهمم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلًا بجواره يقول: كفر أهل الشام، فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة[٤].

ولما رأى عمار ﷺ تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول ﷺ: من سره أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفين محتسبًا، فإني لأرى صفًا يضربكم ضربًا يرتاب منه المبطلون، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر، لعلمنا أنَّا على الحق وأنهم على الباطل، ولعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل[٥].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٣٠).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٦٣٦).
(٣) الإصابة (١/ ٤٥٤) أنساب الأشراف (٢/ ٥٦) بسند حسن إلى قتادة مرسلًا.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٠) الإسناد حسن لغيره.
(٥) مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢١٩) إسناده حسن.

ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد -لكبر سنِّه- ويشتد على حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ويستحثه على التقدم، ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم، ويطمع أصحابه أيضًا فيقول: أزفت الجنة وزينت الحور العين، من سره أن تكتنفه الحور العين فليتقدم بين الصفين محتسبًا.

وكان منظرًا مؤثرًا فهو صحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتسعين، يمتلك كل هذا الحماس وهذا العزم والروح المعنوية العالية واليقين الثابت، فكان عاملًا مهمًّا من عوامل حماس جيش العراق ورفع روحهم المعنوية؛ مما زادهم عنفًا وضراوة وتضحية في القتال، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم، وتقدم هشام بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز بقوله:

أعور يبغي أهله مَحَلًّا قد عالج الحياة حتى ملاَّ
لا بد أن يَفلَّ أو يُفلَّا[1]

وعمار يقول: تقدم يا هشام، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل[2]، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه[3]

وعند غروب شمس ذلك اليوم الخميس، طلب عمار شربة من لبن ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن»[4]، ثم تقدم واستحث معه حامل الراية هشام بن عتبة بن أبي وقاص الزهري فلم يرجعا وقُتلا[5]، رحمهما الله ورضي الله عنهما.

٣- ليلة الهرير يوم الجمعة:

عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين علي قتالًا شديدًا وبايع على الموت[6].

وذُكر أن عليًّا رضي الله عنه صلى بجيشه المغرب صلاة الخوف[7]، وقال الشافعي: وحفظ عن علي أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير[8].

يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام، ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا نعانق بعضنا بعضًا، ولما صارت

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٢).
(٢) الأسل: الرماح.
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٢).
(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣) بسند منقطع.
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٣).
(٦) المستدرك (٣/ ٤٠٢) قال الذهبي: ضعيف، خلافة علي، ص(٢٢٦).
(٧) السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٢٥٢) قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة التمريض، إرواء الغليل (٣/ ٤٢).
(٨) تلخيص الحبير (٢/ ٧٨) خلافة علي بن أبي طالب، ص(٢٢٧).

السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم، ثم ترامينا بالحجارة، وتحاثينا بالتراب، وتعاضينا بالأسنان، وتكادمنا بالأفواه إلى أن أصبحوا في يوم الجمعة، وارتفعت الشمس وإن كانت لا تُرى من غبار المعركة، وسقطت الألوية والرايات، وأنهك الجيش التعب، وكلت الأيدي وجفت الحلوق[1].

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما ليهمر على الآخر، ويهمر عليه، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا -فإنا لله وإنا إليه راجعون- ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال، حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام[2].

٤- الدعوة إلى التحكيم:

إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة في أصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليُبَلِغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غدًا إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعًا من الحرب، ولكني رجل مُسن، وأخاف على النساء والذراري غدًا إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آلُ[3].

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدًا لتميلنَّ الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلنَّ أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنُّهى، ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا[4].

وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص ولا للمخادعة والاحتيال، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمرًا شيء أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة، إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركامًا من الروايات المضللة بشأنها، تحيل الحق باطلًا، وتجعل الفضل -كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة- جريمة ومؤامرة[5] وحيلة، ونسبوا لأمير المؤمنين عليٍّ أقوالًا

---

(١) شذرات الذهب (١/ ٤٥) وقعة صفين، ص(٣٦٩).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٣).
(٣) وقعة صفين، ص(٤٧٩).
(٤) المصدر نفسه، ص (٨٨١- ٨٨٤).
(٥) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص(٣١٦).

مكذوبة تعارض ما في الصحيح، على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنًا ومكيدة[١].

ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة[٢]، ووسّعوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص ﷺ حتى لم تعد تجد كتابًا من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص، وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري وابن الأثير وغيرهما، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل: حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام، ومحمد الخضري بك في تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار في تاريخ الخلفاء الراشدين، وغيرهم كثير؛ مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبي مخنف تفترض أن عليًا رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عُرفوا بالخوارج فيما بعد[٣]، وهذه الرواية تحمل سبًّا من عليٍّ لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي؟!

ويكفي للرواية سقوطًا أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يُتَّهم أصحابها بهوى، مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل -أحد رجال علي بن أبي طالب- فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام، قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى عليٍّ المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران: ٢٣].

فقال علي: نعم، أنا أولى بذلك، فقام القُراء -الذين صاروا بعد ذلك خوارج- بأسيافهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقام سهل بن حنيف الأنصاري ﷺ فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالًا لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر ﷺ، للصلح يوم الحديبية، ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ، فقال علي: أيها الناس إن هذا فتح، فقبل القضية ورجع، ورجع الناس[٤].

---

(١) الكامل (٢/ ٣٨٦).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٢).

(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٢، ٦٦٣).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٦) مسند أحمد مع الفتح الرباني (٨/ ٤٨٣).

وأظهر سهل بن حنيف ﷺ اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم[١]، وبيَّن لهم أنه لا خيار عن الحوار والصلح؛ لأن ما سواه فتنة لا تُعرف عواقبها، فقد قال: ما وضعنا بسيوفنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خصمًا إلا تفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي له[٢].

في هذه الروايات الصحيحة ردٌّ على دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب؛ ليزرعوا البغضاء في النفوس، ويعملوا ما في وسعهم على استمرار الفتنة[٣].

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له -تطور فرضته أحداث حرب صفين؛ إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين أبرزت اتجاها جماعيًا، رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة، وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات[٤].

إن أمير المؤمنين عليًا ﷺ قَبِل وقف القتال في صفين، ورضِيَ التحكيم، وَعَدَّ ذلك فتحًا ورجع[٥] إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالًا في إزالة الخلاف، وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد.

إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم والاستجابة له أسهمت فيها عدة عوامل منها:

(أ) أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء؛ سواء تلك المحاولات الجماعية، أو المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تُبودلت بين الطرفين لتفيد وجهات نظر كل منهما، فلم تُجدِ هي الأخرى شيئًا، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال؛ حيث كتب إلى علي ﷺ يطالبه بوقف القتال فقال: فإني أحسبك أن لو علمتَ وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقى منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي[٦].

---

(١) البخاري رقم (٤١٨٩).
(٢) البخاري رقم (٤١٨٩).
(٣) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ص(٥٣٠).
(٤) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص(٣٨).
(٥) دراسة في تاريخ الخلفاء، ص(٣٨).
(٦) الأخبار الطوال للدينوري، ص(١٨٧) دراسات في عهد النبوة، ص(٤٣٢).

(ب) تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

(جـ) الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهُدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علي في اتجاه الموادعة، وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة[١]. وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي رُوِّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة، وليست من ابتكار عمرو بن العاص؛ بل رُفِع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقُتل.

(د) الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عُرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله، قال: نعم، أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله[٢].

٥- مقتل عمَّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين:

يُعد حديث رسول الله ﷺ لعمار رضي الله عنه: «تقتلك الفيءة الباغية»[٣] من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبي ﷺ، وقد كان لمقتل عمَّار رضي الله عنه أثر في معركة صفين؛ فقد كان عَلَمًا لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافًّا سلاحه، فلما رأى مقتل عمَّار سلَّ سيفه وقاتل أهل الشام؛ وذلك لأنه سمع[٤] حديث رسول الله ﷺ عن عمار: «تقتله الفيءة الباغية» واستمر في القتال حتى قُتل[٥].

وكان لمقتل عمَّار أثر في معسكر معاوية، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبا الأعور السلمي عند شريعة الماء يسقون -وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان- وكان حديثهم عن مقتل عَمَّار بن ياسر؛ إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل، وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفيءة الباغية». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال. فقال معاوية: اسكت، فوالله ما تزال تدحض[٦] في بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[٧]، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم.

---

(١) صفين، ص(٤٨٢-٤٨٥) دراسات في عهد النبوة، ص(٤٣٣).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٦).
(٣) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٤) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٥) خلافة علي، ص(٢١١)، مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٢٤٢). وقال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر وهو لين.
(٦) الدحض: الزلق، والداحض: من لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.
(٧) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن.

وجاء في رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قُتل عمار وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «تقتله الفيءة الباغية»، فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع، حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار. قال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفيءة الباغية». فقال له معاوية: دحضت في بولك، أونحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه، وجاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[(١)].

وفي رواية صحيحة أيضًا: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمَّار، يقول كلُّ واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكم نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفيءة الباغية». قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «أطع أباك ما دام حيًّا ولا تعصه» فأنا معكم ولست أقاتل[(٢)].

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حريص على قول الحق والنصح؛ فقد رأى أن معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عمَّارًا، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة، ولا شك أن مقتل عمَّار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضي الله عنه أوَّل الحديث تأويلًا غير مستساغ، ولا يصح في أن الذين قتلوا عمَّارًا هم الذين جاءوا به إلى القتال[(٣)].

وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص؛ بل كان استشهاد عمار دافعًا لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب[(٤)]، وقد قال رضي الله عنه: وددت أني مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة[(٥)].

وقد جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نحمل لبنة؛ وعمَّار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمَّار تقتله الفيءة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». قال عمَّار: أعوذ بالله من الفتن[(٦)].

وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال: «تقتل عمارًا الفيءة الباغية»، وهذا من إخباره بالغيب وإعلام نبوته ﷺ، وهو من أصح الأحاديث[(٧)].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.
(٢) بسند أحمد (١١/١٣٨، ١٣٩).
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٣٢٥).
(٤) معاوية بن أبي سفيان، الغضبان، ص(٢١٥).
(٥) أنساب الأشراف (١/ ١٧٠) عمرو بن العاص للغضبان، ص(٦٠٣).
(٦) البخاري رقم (٤٤٧).
(٧) الاستيعاب (٣/ ١١٤٠).

وقال الذهبي بعدما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة من الصحابة؛ فهو متواتر[١].

٦- **فهم العلماء للحديث:**

(أ) قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، وردٌّ على النواصب الزاعمين أن عليًا لم يكن مصيبًا في حروبه[٢].

وقال أيضًا: دل الحديث -«تقتل عمارًا الفيءة الباغية»- على أن عليًا كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه[٣].

(ب) يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجَّه؛ لعلمهم بأنه مع الفيءة العادلة؛ لهذا الحديث[٤].

(جـ) **قال ابن كثير:** كان عليٌّ وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سملة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: حدثني من هو خير منى -يعني: أبا قتادة- أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «**تقتلك الفيءة الباغية**»[٥]، وقال أيضًا: وهذا مقتل عمار بن ياسر ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سرُّ ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفيءة الباغية، وبان بذلك أن عليًا محق، وأن معاوية باغٍ، وما في ذلك من دلائل النبوة[٦].

(حـ) **وقال الذهبي:** هم طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام عليٍّ، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «**تقتلك الفيءة الباغية**»[٧].

(د) **قال القاضي أبو بكر بن العربي في** قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوَّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عَنَى النبي ﷺ بقوله: «**تقتل عمارًا الفيءة الباغية**»[٨].

(هـ) **وقال ابن تيمية:** وهذا يدل على صحة إمامة عليٍّ ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داعٍ إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داعٍ إلى النار -وإن كان متأولًا- وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال عليٍّ؛ وعلى هذا فمقاتله مخطئ -وإن كان متأولًا- أو باغٍ -بلا تأويل- وهو أصح

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٢١).
(٢) فتح الباري (١/ ٦٤٦).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٩٢).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨).
(٥) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).
(٦) المصدر نفسه (٧/ ٢٧٧).
(٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٩).
(٨) أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة مَنْ قاتل عليًا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين[١].

وقال أيضًا: مع أن عليًا أولى بالحق ممن فارقه، ومع أن عمارًا قتلته الفيءة الباغية -كما جاءت به النصوص- فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم؛ بل نسلك سبل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فأما مَنْ تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف[٢].

(و) وقال عبد العزيز بن باز: وقال ﷺ في حديث عمار: «تقتل عمارًا الفيءة الباغية» فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[٣].

(ز) وقال سعيد حوي: بعد أن قُتل عمار -الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفيءة الباغية- تبين للمترددين أن عليًا كان على حق، وأن القتال معه كان واجبًا؛ ولذا عبَّر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا لأنه ترك واجبًا؛ وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق، كما أفتى بذلك الفقهاء[٤].

٧- الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله مَنْ جاء به[٥]:

إن جُلَّ الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفيءة الباغية»[٦] أن المقصود: جيش معاوية رضي الله عنه، مع أنهم -أي: معاوية وجيشه- معذورون في اجتهادهم، فهم يقصدون الحق ويريدونه، ولكنهم لم يصيبوه، وفئة عليٍّ أولى بالحق منهم كما قال ﷺ[٧]، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية -كما سأنقل- إلا أنهم عذروه في اجتهاده، فها هو ابن حجر يقول في قوله ﷺ: «يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»[٨]

فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع عليٍّ، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟

فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعونه إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة: الدعاء إلى سببها؛ وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٧).
(٢) المصدر نفسه (٤/٤٤٩، ٤٥٠).
(٣) فتاوى ومقالات متنوعة (٦/٨٧).
(٤) الأساس في السنة (٤/١٧١٠).
(٥) مسند أحمد (٢/٢٠٦) إسناده حسن.
(٦) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٧) معاوية بن أبي سفيان، ص(٢١٠-٢١٤).
(٨) البخاري رقم (٤٤٧).

يدعوهم إلى طاعة عليٍّ، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعونه إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم(١).

وقال القرطبي: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد، فصل (علي رضي الله عنه): كان إمامًا حقًّا في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يُظن بهم قصد الخير وإن أخطئوه(٢)، وقال أيضًا: وقد أجاب علي رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي رضي الله عنه إلزام لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها، قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية(٣).

وقال ابن كثير: فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا، تأويل بعيد جدًّا؛ إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يُقتلون في سبيل الله؛ حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء(٤).

وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلًا من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومَنْ وافقهم(٥).

وقال ابن القيم معلقًا على هذا التأويل: نعم، التأويل الباطل تأويل أهل الشام، قوله ﷺ لعمار: «تقتلك الفيءة الباغية»(٦) فقالوا: نحن لم نقتله، إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا، فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به(٧).

٨- مَنْ هو قاتل عمّار بن ياسر؟

قال أبو الغادية الجهني وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتيبة رجلًا، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجلٌ عورة، فطعنه في ركبته بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا هو رأس عمار، ثم قُتل عمار، قال الراوي: واستسقى أبو الغادية، فأتي بماء في زجاج فأبى أن يشرب فيها، فأتي بماء في قدح فشرب، فقال رجل: يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار(٨).

ويخبر عمرو بن العاص رضي الله عنه الخبر فيقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قاتل عمار وسالبه في النار»(٩). قال ابن كثير: ومعلوم أن عمارًا كان في جيش عليٍّ يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله يقال له: أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل: إنه صحابي(١٠).

---

(١) التذكرة (٢/ ٢٢٢).
(٢) التذكرة (٢/ ٢٢٣).
(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).
(٤) البداية والنهاية (٦/ ٢٢١).
(٥) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).
(٦) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٧) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٤، ١٨٥)
(٨) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٠، ٢٦١) بسند صحيح.
(٩) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨، ١٩)
(١٠) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).

وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى[١].

وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل[٢].

وقد وفق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مُشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة [عنوان باب «قاتل عمار وسالبه في النار»][٣]؛ إذ لا يمكن القول بأن أبا الغادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهدًا، ورسول الله ﷺ يقول: «قاتل عمار وسالبه في النار»[٤]، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دلَّ الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح[٥] بها.

وقد ترجم لأبي الغادية الجهني ابن عبد البر فقال: أُختلف في اسمه؛ فقيل: يسار بن سَبُع، وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم، سكن الشام ونزل في واسط، يعد في الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو غلام، رُوِيَ عنه أنه قال: أدركت النبي ﷺ وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبي ﷺ؛ قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٦]، وكان محبًّا لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سُئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجبٌ عند أهل العلم[٧].

٩- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين. كانت هذا الوقعات من الغرابة إلى حدِّ أن القارئ لا يصدق ما يقرأ، ويقف مشدوهًا أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهرًا سيفه وهو يؤمن بقضيته إيمانًا كاملًا، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها؛ بل كانت معركة فريدة في بواعثها، وفي طريقة أدائها، وفيما خلفتها من آثار؛ فبواعثها في نفوس المشاركين تعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معًا إلى مكان الماء فيستقون جميعًا،

---

(١) الإصابة (٧/ ٢٦٠).
(٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص(٦٥٤).
(٣) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨، ١٩).
(٤) السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨، ١٩).
(٥) المصدر نفسه (٥/ ١٩).
(٦) مسند أحمد (٤/ ٧٦) وسنده حسن.
(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، رقم (٣٠٨٩).

ويزدحمون وهم يغرفون الماء، وما يؤذي إنسان إنسانًا[١]، وهم إخوة يعيشون معًا عندما يتوقف القتال، فهذا أحد المشاركين يقول:

كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في معسكر هؤلاء، وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم[٢]، وهم أبناء قبيلة واحدة، ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف[٣] قتالًا مريرًا، وكل منهما يرى نفسه على الحق وعنده الاستعداد لأن يُقتَل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يُثخَنا (وهنا وضعفًا) ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا[٤]، وهما أبناء دين واحد يجمعها، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها[٥]، ويوم قُتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان[٦].

ويقول شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أيامًا فكثر القتلى بيننا حتى عقرت الخيل، فبعث علي إلى عمرو بن العاص أن القتلى قد كثروا، فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم، فأجابهم، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا -وشبك بين أصابعه- وكان الرجل من أصحاب علي يُشدُّ فيُقتل في معسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مرَّ أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى وقال: لقد كان مجتهدًا أخشن في أمر الله[٧].

وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عُرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معًا، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين عليٍّ، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان، وقالوا لأمير المؤمنين: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه، فقال علي: مرحبًا وأهلًا، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة، من لم يرضَ بهذا فهو جائر خائن[٨].

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها[٩].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١) مرويات أبي مخنف، ص(٢٩٦).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠) دراسات في عهد النبوة، ص(٤٢٤).

(٤) تاريخ الطبري، نقلًا عن دراسات في عهد النبوة، ص(٤٢٤).

(٥) تاريخ دمشق (١٨/ ٢٢٣٩) دراسات في عهد النبوة، ص(٤٢٤).

(٦) أنساب الأشراف (٦/ ٥٦) بسند حسن إلى عتبة، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٤١).

(٧) أنساب الأشراف (٦/ ٥٦) بسند حسن إلى عتبة، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٤١).

(٨) صفين، ص(١١٥) دراسات في عهد النبوة، ص(٤٢٤).

(٩) دراسات في عهد النبوة، ص(٤٢٤).

١٠- معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البدهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بيّن الإسلام معاملة الأسرى؛ فقد حث رسول الله ﷺ على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين، فكيف إذا كان الأسير مسلمًا؟! لا شك أن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقته[١]؛ ولذلك كان علي رضي الله عنه يأمر بحبسه، فإن بايع أخلى سبيله، وإن أَبِيَ أخذ سلاحه ودابته، أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألا يقاتل. وفي رواية: يعطيه أربعة دراهم[٢].

وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح؛ وهو إضعاف جانب البغاة، وقد أتي بأسير يوم صفين، فقال الأسير: لا تقتلني صبرًا. فقال علي رضي الله عنه: لا أقتلك صبرًا، إني أخاف الله رب العالمين، فخلّى سبيله ثم قال: أفيك خير تبايع؟[٣]

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:

* إكرام الأسير والإحسان إليه.

* يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة، فإن بايع خلّى سبيله.

* إن أبي البيعة أخذ سلاحه ويحلفه ألا يعود للقتال ويطلقه.

* إن أبي إلا القتال تحفظ عليه في الأسر، ولا يقتله صبرًا[٤]، وقد أتي رضي الله عنه مرة بخمسة عشر أسيرًا -ويبدو أنهم جرحى- فكان مَنْ مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه[٥].

ويقول محب الدين الخطيب معلقًا على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ، التي جرى فيها المتحاربان معًا على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يُعمل بها في حروبهم، ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيرًا من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب، ولله في كل أمر حكمة[٦]، قال ابن العديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغي؛ ولهذا قال أبو حنيفة: لولا ما سار عليّ فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين[٧].

---

(١) كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير، ص(١٣٣، ١٣٤).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٤٣).
(٣) الأم للشافعي (٤/٢٢٤) (٨/٢٥٦).
(٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٤٣).
(٥) تاريخ دمشق، تحقيق المنجد (١/٣٣١) خلافة علي بن أبي طالب، ص(٢٤٣).
(٦) العواصم من القواصم، ص(١٦٨، ١٦٩) من تعليق الخطيب في الحاشية.
(٧) بغية الطلب في تاريخ حلب (٣٠٩) خلافة علي، ص(٢٤٥).

١١- عدد القتلى:

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى؛ فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين بلغ عددهم سبعين ألفًا؛ من أهل العراق خمسة وعشرون ألفًا، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألف مقاتل[١]، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفًا أو أكثر[٢].

ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة؛ بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة، فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة[٣]، ومهما كان القتال عنيفًا فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة[٤]، وبالتالي يصعب عقلًا أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢- تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين علي ﷺ بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عِيان: رأيت عليًّا على بغلة النبي ﷺ الشهباء، يطوف بين القتلى[٥]، وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشتر مرَّ برجل مقتول -وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام- فقال الأشتر -وفي رواية أخرى عدي بن حاتم-: يا أمير المؤمنين، أحابس[٦] معهم؟ عهدي والله به مؤمن، فقال علي: فهو اليوم مؤمن.

لعلَّ هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفزعتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان، والنجوم معهما نصفين. قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، فانطلق فوالله لا تعمل لي عملًا أبدًا، قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين[٧].

وقد وقف عليٌّ على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعًا[٨].

وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إليَّ وإلى

(١) الأنباء للقضاعي، ص(٥٩) نقلًا عن خلافة علي، ص(٢٤٦).
(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٣٧٧) بدون سند، تحقيق: محمد دخيل الله.
(٣) الدولة الأموية، ص(٣٦٠-٣٦٢).
(٤) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٨).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة.
(٦) حابس بن سعد الطائي، مخضرم، قُتل بصفين.
(٧) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٧٤) بسند منقطع.
(٨) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٥٠).

معاوية[١]، وكان يقول عنهم: هم المؤمنون[٢]، وقوله ﷺ في أهل صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل[٣].

١٣- موقف لمعاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية ﷺ، وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير: ... وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحرهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لاصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكفَّ، وبعث يطلب الهدنة[٤]، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

١٤- قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين:

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقَّاهم أهل الشام فاجتلدوا، وحمل عمرو بن العاص.. فاعترضه علي وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل والخصر والأنامل الطفول[٥]

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه وارتُثَّ. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرون مَنْ هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي[٦].

وذكر القصة -أيضًا- ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف. وقول علي: إنه اتقاني بعورته فأذكرني الرحِمَ إلى أن قال: ... ويروى مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع علي ﷺ يوم صفين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي كما رواه ابن الكلبي وغيره:

أفي كل يوم فارس غير منته وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه عليّ سنانه ويضحك منه في الخلاء معاوية[٧]

والرد على هذا الافتراء والإفك المبين كالآتي:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٣٠٣) بسند حسن.
(٢) تاريخ دمشق (١/٣٢٩-٣٣١) خلافة علي، ص(٢٥١).
(٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٥١).
(٤) البداية والنهاية (٨/١٢٢).
(٥) الطفول جمع طفل -بالفتح- وهو الرخص الناعم.
(٦) وقعة صفين، ص(٤٠٦-٤٠٨) قصص لا تثبت، سليمان الخراشي (٦/١٩).
(٧) الروض الأنف (٥/٤٦٢) قصص لا تثبت (٦/١٩).

فراوي الرواية الأولى نصر بن مزاحم الكوفي صاحب وقعة صفين شيعي جلد، لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد، تركوه، قال عنه العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة: كان كذابًا[١]، وقال عنه ابن حجر: قال العجلي: كان رافضيًّا غاليًا.. ليس بثقة ولا مأمون[٢].

وأما الكلبي؛ هشام بن محمد بن السائب الكلبي، فاتفقوا على غلوه في التشيع، قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه. وقال الدارقطني: متروك[٣]، وعن طريق هذين الرافضين سارت هذه القصة في الآفاق، وتلقفها مَنْ جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة[٤].

وتعد هذه القصة أنموذجًا لأكاذيب الشيعة الروافض، وافتراءاتهم على صحابة رسول الله ﷺ، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله ﷺ وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار؛ لكي يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصحابة الأبرار ﷺ في غفلة من أهل السنة، الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التحقيق في روايات التاريخ الإسلامي، بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصّاص، وأصبح كثير منها من المسلمات، حتى عند مؤرخي أهل السنة للأسف[٥].

١٥- مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف أمير المؤمنين علي ﷺ من صفين مرَّ بمقابر، فقال: «السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكن تبعٌ، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد الله الذي جعل الأرض كفاتًا، أحياءً وأمواتًا، الحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبي لمن ذكر المعاد وأعدَّ للحساب، وقنع بالكفاف»[٦].

١٦- إصرار قتلة عثمان ﷺ على أن تستمر المعركة:

إن قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين؛ حتى يتفانى الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب؛ ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلي ﷺ يجيبهم إلى طلبهم، فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه، لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بُدًّا من الخروج على علي ﷺ، فاخترعوا مقولة: «الحكم لله» وتحصنوا بعيدًا عن الطرفين.

---

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٣، ٢٥٤).
(٢) لسان الميزان (٦/ ١٥٧).
(٣) المجروحون لابن حبان (٣/ ٩١) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٣) معجم الأدباء (١٩/ ٢٨٧) قصص لا تثبت (١/ ١٨).
(٤) قصص لا تثبت (١/ ٢٠).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٠).
(٦) البيان والتبين للجاحظ (٣/ ١٤٨) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص(٣٢٧).

والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة الجمل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي، وعن سرِّ إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهرًا عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين؛ لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين؛ لأن اصطلاح علي مع معاوية هو -أيضًا- اصطلاح على دمائهم، لا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويتركوا ذلك في صفين(١).

١٧- نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

رُوِيَ أن عليًّا ﷺ لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام، أرسل إليهما أن كُفَّا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى وربِّ الكعبة المسدَّنة، قالا: فَلِمَ تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعَّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقَّ من جهله، ويرعوي عن الغيِّ من لجج به(٢).

وأما ما قيل من أن عليًّا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًّا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح؛ لأنَّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع، الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه(٣)، فقد رُوِيَ عن رسول الله ﷺ قوله: «من لعن مؤمنًا فهو كقتله»(٤)، وقوله ﷺ: «ليس المؤمن بطعَّان ولا بلعَّان»(٥)، وقوله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»(٦).

وأما الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه، ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند؛ حيث إن فيها أبا مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر عليٌّ على من سبَّ معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم(٧).
فهذا السبُّ والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة(٨).

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، ص(١٤٧).
(٢) الأخبار الطوال، ص (١٦٥) نقلًا عن تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٣٢).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٣٢).
(٤) البخاري، كتاب: الأدب (٧/ ٨٤).
(٥) السلسلة الصحيحة للألباني، رقم (٣٢٠) صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٩) رقم (١١١٠)
(٦) مسلم (٤/ ٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨).
(٧) نهج البلاغة، ص(٣٢٣).
(٨) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٤).

المبحث الثالث

التحكيم

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يُحكِّم كل واحد منهما رجلًا من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكَّل معاوية عمرو بن العاص، ووكَّل عليٌّ أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما جميعًا، وكُتبت بين الفريقين وثيقة في ذلك، وكان مقر اجتماع الحَكَمَين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة (٣٧هـ).

وقد رأى قسم من جيش علي رضي الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل علي رضي الله عنه إليهم ابن عباس رضي الله عنهما، فناظرهم وجادلهم، ثم ناظرهم علي رضي الله عنه بنفسه؛ فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين عليٍّ رضي الله عنه حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى.

تعد قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكُتَّاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام، وخصوصًا أبا موسى الأشعري، الذي وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعًا في القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة؛ ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضيَّة التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدّى إلى قتل كثير من المسلمين.

وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها، وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها. وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم؛ حيث إن أصله حق لا شك فيه[1].

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين: أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

---

(١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٣٧٨) تنزيه خال المؤمنين معاوية، ص (٣٨).

أولًا: سيرة أبي موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن حضّار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المُقري[(١)]، وقد أسلم أبو موسى بمكة قديمًا، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديمًا وهاجر إلى أرض الحبشة[(٢)]، وتذكر بعض الروايات أنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله.

وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم؛ لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصدًا النبي ﷺ بخيبر ... ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولًا إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي ﷺ مع مَنْ بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومَنْ أسلم من قومه إلى المدينة، فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد[(٣)].

١- أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله ﷺ على صدر أبي موسى:

(أ) لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليّ: عن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي، ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رُهْم، وأبو عامر، فأخرجتنا سفينتنا إلى النَّجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «**لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ**»[(٤)].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقدم عليكم غدًا قوم هم أرقُّ قلوبًا للإسلام منكم**». فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه

فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة[(٥)].

(ب) هم قومك يا أبا موسى: عن عياض الأشعري قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسول الله ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى**»، وأومأ إليه[(٦)].

(ج) اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا: عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين بعث أبا عامر الأشعريَّ على جيش أوطاس، فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته[(٧)].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).
(٢) الطبقات (٤/ ١٠٧).
(٣) فتح الباري (٧/ ١٨٩).
(٤) مسلم رقم (٢٥٠٢).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٤) إسناده صحيح.
(٦) المستدرك (٢/ ٣١٣) صححه الحاكم ووثقه الذهبي، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٨).
(٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٥).

فقلت: يا عم، مَنْ رماك؟ فأشار إليه، فقصدت له، فلحقته، فلما رآني، ولَّى ذاهبًا، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟! ألست عربيًا؟! ألا تثبت؟! قال: فكفَّ، فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين، فقتلته، ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعه فنزا منه الماء. فقال: يابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له يستغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فكمث يسيرًا، ثم مات.

فلما قدمنا، وأخبرت النبي ﷺ، توضأ ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعبيد ابن أبي عامر». حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك». فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا» (1).

(د) **إن هذا قد ردَّ البشرى فاقبلا أنتما**: عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله ﷺ بالجعرانة (2) فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ قال: «أبشر». قال: قد أكثرت من البشرى. فأقبل رسول الله عليَّ وعلى بلال، فقال: «إنّ هذا قد ردَّ البشرى فاقبلا أنتما». فقالا: قبلنا يا رسول الله، فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على رءوسكما ونحوركما»، ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه (3).

(هـ) **لقد أُعطي مزمارًا من مزامير آل داود**: عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «يا بريدة، أتراه يُرائي؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «بل هو مؤمن منيب، لقد أُعطي مزمارًا من مزامير آل داود». فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته (4).

(و) **يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟**: عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقب، فإذا أصعد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبر -أحسبه قال بأعلى صوته- ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: «أيها الناس، إنكم لا تنادون أصمَّ ولا غائبًا» ثم قال: «يا عبد الله بن قيس -أو يا أبا موسى- ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله» (5).

---

(1) مسلم، رقم (2498).
(2) الجعرانة: بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة.
(3) مسلم، رقم (2497).
(4) مسلم، رقم (793)، مجمع الزوائد (9/ 358).
(5) مسلم، رقم (2704).

(ز) يسِّرا ولا تعسِّرا وتطاوعا ولا تُنفرا: استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زبيد وعدن[١]، وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذًا إلى اليمن، قال لهما: «يَسِّرا ولا تُعسِّرا وتطاوعا ولا تنفرا» فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شرابًا، يصنع مع العسل يقال له: البِتْعُ، ومن الشعير يقال له: المزر، قال: «كل مسكر حرام».

فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائمًا وقاعدًا، أتفوقه تفوقًا -يعني: شيئًا بعد شيء- قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكأن معاذًا فُضِّل عليه[٢].

٢- مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر، وكان قائدًا للجيوش في فتح قم وقاشان[٣]، وموقعة تستر[٤]، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق، وكان يُعدُّ من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلَّم بها[٥]، وقد تأثر بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان بينهما مراسلات، سنأتي عليها عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة.

وكان أبو موسى رضي الله عنه قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى رضي الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنهم، كان عالمًا عاملًا صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهل البصرة وأفقههم.

وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة؛ كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى -على وجه الخصوص- بعمر بن الخطاب كثيرًا، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحدًا من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى[٦].

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنهما، وربما أمضى جزءًا كبيرًا معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى: أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ص(٩٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢٢٦).
(٢) مسلم، رقم (١٧٣٣) البخاري (٤٣٤٤).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ١١٤).
(٤) المصدر نفسه (٧/ ٨٨).
(٥) تفسير التابعين (١/ ٤٣٣).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحدثا طويلًا، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة[١].

وكما كان أبو موسى حريصًا على طلب العلم والتعليم، كان حريصًا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحضُّ الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم؛ فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[٢].

وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي، وخصص جزءًا كبيرًا من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتفِ بذلك؛ بل كان لا يدعُ فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل ﷺ الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلًا رجلًا يقرئهم[٣].

واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر ﷺ إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن[٤]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل ﷺ كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية؛ فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم، ويضبط لهم قراءتهم[٥].

فكان القرآن الكريم شغله الشاغل ﷺ، صرف له معظم أوقاته في حِلِّه وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر ﷺ، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس[٦]، ولا تُسمعها إياه[٧].

حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقِّه، فعن حطَّاب بن عبد الله الرقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري ﷺ في جيش على ساحل دجلة؛ إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حِلَقًا، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبَّ الناس للوضوء -أيضًا- فأمر مناديه: لا وضوء إلا على مَنْ أحْدَثَ.

---

(١) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز، ص(١٢١).

(٢) الطبقات (٤/ ١٠٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٨).

(٤) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم، ص(١٢٥، ١٢٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

(٥) المصدر نفسه، ص(١٢٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

(٦) الطبقات (٤/ ١٠٨) رجاله ثقات، كيِّس: عاقل فطن.

(٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٠).

وأثمرت جهوده العلمية ﷺ، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم، فكتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قِبَلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجل[(١)].

واهتم أبو موسى ﷺ بتعليم السنة وروايتها، فرَوَى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي رحمه الله: حدَّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدي، وخلق سواهم[(٢)]، وكان ﷺ شديد التمسك بسنة النبي ﷺ، دلَّ على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر ﷺ من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة ﷺ؛ فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي ﷺ.

وكان من المقربين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس، إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فريًا، فتعالَ فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس -ما بطأ بهم-؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عُجِّلت الدنيا وغُيِّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدَلوا ولا بدَّلوا[(٣)].

ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر، فسألني عن أحوال الناس، وبعد موقعة (تستر) أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم، فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[(٤)].

٣- ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان ﷺ:

يعتبر أبو موسى -بحق- أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب؛ فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها، وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها، وتأمينها وترتيب مختلف شئونها.

---

(١) أبو موسى الأشعري، ص(١٢٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).
(٣) أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، ص(١٣٥).
(٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦).

وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا؛ منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجالس الإمارة، ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيمة قال فيها عمر: «أما بعد، فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت تبغي السمن، وإنما حتفها في سمنها»[1].

وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبى موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابة القيم عن الوثائق السياسية[2].

وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات، حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو الحسن البصري رحمه الله فقال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى[3]؛ إذ إن أبا موسى رحمه الله كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها؛ حيث علَّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة[4].

وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس -والتي فتحت في زمنه- تخضع للبصرة، وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قِبَله، ويرتبطون به ارتباطًا مباشرًا، وهكذا اعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر، واعتبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبينت ملامح أسلوبه في التعامل معهم[5]، وقد أوصى عمر ﷺ في وصيته للخليفة من بعده ألا يقرَّ لي عامل أكثر من سنة، وأقر الأشعري أربع سنين[6].

وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر، وكان كتاب عمر إليه في القضاء أنموذجًا ومثالًا يفيد كل قاضٍ؛ بل وكل إداريٍّ في كل زمان ومكان[7]، وقال عنه ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة، والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه[8].

كما تولى الولاية في عهد عثمان، واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضًا، ولما قُتل عثمان كان واليًا على الكوفة، ولما تولى علي ﷺ الخلافة أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة؛ إذ كان واليًا عليها لعثمان بن عفان ﷺ، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذي قار، رأى

---

(١) مناقب عمر لابن الجوزي، ص(١٣٠).
(٢) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).
(٤) الولاية على البلدان (١/ ١٢٠).
(٥) المصدر نفسه (١/ ١٢٠).
(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).
(٧) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٦٢).
(٨) إعلام الموقعين (١/ ١٨٦).

أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر؛ فإنما هي فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة[١].

إن حياة أبي موسى رضي الله عنه -منذ إسلامه- قضاها في نشر الإسلام وتعليم الناس العلم، وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصومات، ونشر العدل، وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك أن هذه المهام صعبة، وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم والفهم والفطنة والحذق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله ﷺ، ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم[٢]، فهل يتصور أن يثق رسول الله ﷺ، ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويها قصة التحكيم؟![٣].

إن اختيار أبي موسى رضي الله عنه حكمًا عن أهل العراق من قِبَل عليٍّ رضي الله عنه وأصحابه ينسجم تمامًا مع الأحداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان في الوقت نفسه محبوبًا، مؤتمنًا من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن عليًّا هو الذي اختار أبا موسى الأشعري، يقول خليفة في تاريخه: وفيها -سنة (٣٧هـ)- اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري من قِبَل عليٍّ، وعمرو بن العاص من قِبَل معاوية[٤]، ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكَّموا الحكمين، فحكَّم عليٌّ أبا موسى، وحكَّم معاويةُ عمرو بن العاص[٥].

ولهذا يمكن القول: إن الدور المنسوب للقراء في صفين من مسئولية وقف القتال والتحكيم، وفرض أبي موسى حكمًا ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة، الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعجهم أن يظهر علي رضي الله عنه بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام، وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين، ومن جهة أخرى يحملون المسئولية لأعدائهم الخوارج ويتخلصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا عليًّا على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم[٦].

إن هذه العُجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا عن شخصية أمير المؤمنين علي وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره، وقد تعرضت للتشويه، وغالبًا إذا

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٣) التاريخ الصغير (١١/ ١٠٩).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص(٢٦٢).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٢٧).
(٤) تاريخ خليفة، ص(١٩١، ١٩٢).
(٥) الطبقات (٣/ ٣٢).
(٦) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢١٥).

تحدَّث أحدٌ عن صفين والتحكيم تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص للتشويه والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة، فكان لزامًا علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الزكية. وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث.

ثانيًا: سيرة عمرو بن العاص ﷺ:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يكنى أبا محمد وأبا عبد الله، ويتفق ابن إسحاق[1] والزبير بن بكار[2] أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن حجر أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح، وقيل: بين الحديبية وخيبر[3].

١- إسلامه:

نترك عمرو بن العاص ﷺ يحدثنا عن إسلامه، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب من الخندق جمعت رجالًا من قريش، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوًّا منكرًا، وإني رأيت أمرًا، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خيرًا، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم[4].

فجمعنا له أدمًا كثيرًا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني أجزأت عنها[5]؛ حيث قتلت رسول محمد.

قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبًا بصديقي، أهديت إليَّ من بلادك شيئًا؟ قال: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلًا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا.

قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقًا منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله؟

(١) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٥٣) أرسلها ابن إسحاق.
(٢) الإصابة (٣/ ٢) خلافة علي، عبد الحميد، ص (٢٦٣).
(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ٥٦).
(٤) الأدم: الجلد.
(٥) اجزأت عنها: كفيتها.

قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام.

ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي، ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم[1]، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم.

قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجُبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها»**، قال: فبايعته ثم انصرفت[2].

وفي رواية قال: . . . فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: **«ما لك يا عمرو؟»** قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: **«تشترط بماذا؟»** قلت: أن يغفر لي، قال: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»**[3].

٢- عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل (٧هـ):

جهز النبي ﷺ جيشًا بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل؛ وذلك لتأديب قضاعة التي غرَّها ما حدث في مؤتة، التي اشتركت فيها إلى جانب الروم، فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعًا كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد، فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة بن الجراح[4].

وقاتل المسلمون الكفار، وتوغل عمرو في ديار قضاعة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس، وبني مرة، وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم،

---

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

(٢) صحيح السيرة النبوية، ص (٤٩٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٦٠) والسيرة لابن هشام (٢/ ٢٧٦).

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٢١).

(٤) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٤٧١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٨٠).

وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في البلاد جميعها [(١)].

وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها :

(أ) إخلاص عمرو بن العاص: يقول عمرو: بعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني». فأتيته وهو يتوضأ، فصعَّد فيَّ النظر، ثم طأطأ، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش [(٢)]، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة»، قال: قلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ. قال: «يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح» [(٣)].

فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام، وحرصه على ملازمة رسول الله ﷺ، وقد بيَّن له رسول الله ﷺ أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح؛ لأنه يبتغي وجه الله ويصرفه في وجوه الخير؛ ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة، ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية، وغيرها من وجوه البر، ويَعِف به نفسه وأسرته [(٤)]، ويغني به المسلمين.

ونستنبط من الحديث أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي ﷺ، كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث؛ فهو أيضًا مطلوب ومحمود، وهذا خير له وللإسلام والمسلمين.

(ب) حرص عمرو على سلامة قواته: بعث رسول الله ﷺ عمرًا في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحد نار، فلما قدم شكوه، قال: يا نبي الله، كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ [(٥)].

(جـ) من فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا [(٦)].

---

(١) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/٤٣٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٨٠).

(٢) جيش: سرية ذات السلاسل.

(٣) رواه ابن حبان في الموارد (٢٢٧٧) صحيح السيرة، ص(٥٠٨) صححه الألباني.

(٤) التاريخ الإسلامي للحميدي (٧/١٣٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٦٦).

(٦) المصدر نفسه (٣/٦٧) إسناده صحيح، صححه ابن حبان، رقم (٢٠٢).

وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباطه الحكم من دليله[١]، ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام، فإن الذي يستوقفنا[٢] منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به، حتى بات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات، وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو -وهذا احتمال وارد- على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكن أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين، وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن، كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام[٣].

٣- فضائله ومناقبه:

(أ) شهادة رسول الله ﷺ له بالإيمان: قال رسول الله ﷺ: **«أسلم الناس وآمن الناس عمرو بن العاص»**[٤]، وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: **«ابنا العاص مؤمنان: عمرو وهشام»**[٥]، وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبي ﷺ فتفرقوا، فرأيت سالمًا احتبى سيفًا فجلس في المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رسول الله ﷺ فرآني وسالمًا، وأتى الناس فقال: **«أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان؟»**[٦].

(ب) تقديم رسول الله ﷺ له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحي قريش: فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله: ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد أحدًا منذ أسلمنا في حرب[٧]. وشهد له رسول الله ﷺ بأنه من صالحي قريش، فعن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن عمرو بن العاص من صالحي قريش»**[٨]. وهنا درس نبوي في معرفة النبي ﷺ لمعادن الرجال والاستفادة منها.

(ج) دعاء رسول الله ﷺ له: عن زهير بن قيس البلوي، عن عمه علقمة بن رمثة البلوي، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم نعس رسول الله ﷺ ثم استيقظ

---

(١) غزوة الحديبية لأبي فارس، ص (٢١٠).
(٢) معين السيرة، ص (٣٨١) القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب معين السيرة.
(٣) المصدر نفسه، ص (٣٨١) مسند أحمد (١/٢٠٣) رجاله رجال الصحيح.
(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٢٣٨) رقم (١٥٥) وحسنه.
(٥) الطبقات (٤/١٩١) السلسلة الصحيحة (١/٢٤٠) رقم (١٥٦).
(٦) مسند أحمد (٢٠٣) بسند حسن.
(٧) سنن البيهقي، باب: إسلام عمرو بن العاص (٤/٤٣).
(٨) سنن الترمذي، كتاب: المناقب، باب: مناقب عمرو بن العاص، رقم (٣٨٤٤).

فقال: «رحم الله عمرًا». فتذاكرنا مَنْ اسمه عمرو، ثم نعس ثانية فاستيقظ فقال: «رحم الله عمرًا» ثم نعس ثالثة فاستيقظ، فقال: «يرحم الله عمرًا». قلنا: مَنْ عمرو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن العاص» قلنا: وما باله؟ قال: «ذكرته، إني كنت إذا ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله لخيرًا كثيرًا».

قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا، قال فيه رسول الله ما قال، فلم أفارقه[١].

٤- أعماله في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ:

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عمرًا إلى دعوة ابني الجلندي (جيفر، وعباد) إلى الإسلام، ودعاهما إلى الإسلام، وصدقا بالنبي ﷺ، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم، وكانا له عونًا على من خالفه[٢].

وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق خيَّره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله ﷺ وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به[٣]، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر ﷺ أن يخرج من المدينة، وأن يعسكر حتى يندب معه النَاس. . ثم أرسله بجيش إلى الشام[٤].

وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين، وبعد وفاة الصديق استمر عمرو في الشام، وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام، فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين[٥]، كما قام ﷺ بفتح غزة، واللُد، ويُبنى، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح، وبيت المقدس.

ولم يقتصر عمرو ﷺ على فتح بلاد الشام وحدها؛ بل شمل أيضًا بعض مشاهير بلاد مصر؛ حيث كان عمر بن الخطاب ﷺ أصدر أمره إلى عمرو بن العاص ﷺ بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر، فخرج ﷺ حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضًا: الفرما، والفسطاط، وحصن بابليون، وعين شمس، والفيوم،

---

(١) المعجم الكبير (١٨/٥) المستدرك (٣/٤٥٥) صححه الحاكم، وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.
(٢) الطبقات (١/٢٦٢) جوامع السيرة لابن حزم، ص (٢٤، ٢٩).
(٣) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، ص(٥٥).
(٤) فتوح الشام للأزدي، ص (٤٨-٥١).
(٥) تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥) الكامل لابن الأثير (٢/٤٩٨).

والأشمونين، وأخميم، والبشرود، وتنيس، ودمياط، وتونة، ودقهلة، والإسكندرية، وبلادًا إفريقية أخرى مثل: برقة وزويلة وطرابلس[١].

وقد شهد له الفاروق بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلى أميرًا[٢].

وكان في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة، ومن أهل مشورته، ولما أحيط بعثمان ﵁، خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهًا إلى الشام وقال: والله يأهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قَتْل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله[٣].

وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان ﵁، وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب، قال عمرو بن العاص: رحم الله عثمان ﵁ وغفر له، فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر العرب، إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا بابًا إذا كسر الباب، فقال عمرو: وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف[٤]، تخرج الحق من حافرة البأس، ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فيا لهف نفسي على مالك ... وهل يصرف مالك حفظ القدر
أنزع من الحر[٥] أودى بهم ... فأعذرهم أم بقومي سكر

ثم ارتحل راجلًا يبكي ويقول: يا عثماناه؛ أنعي الحياء والدين، حتى قدم دمشق[٦].

هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو ﵁ والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح، وصاحب مطامع، وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة؛ رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب[٧].

وقد تأثرت بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض؛ كالذي كتبه محمود شيت خطاب[٨]، وعبد الخالق سيد أبو رابية[٩]، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو ﵄ بأنهما انتهازيان صاحبا مصالح.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠) القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص (٦٣٤-٩٤٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠).
(٣) تاريخ الطبري، نقلًا عن عمرو بن العاص للغضبان، ص (٤٦٤).
(٤) أشاف: جمع أشفى وهو المثقب.
(٥) الحر: جمع حرة، وهي الظلمة الشديدة.
(٦) تاريخ الطبري نقلًا عن عمرو بن العاص، ص (٤٦٤).
(٧) عمرو بن العاص للغضبان، ص (٤٨١).
(٨) سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب، ص (٥٠٨).
(٩) عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، ص (٣١٦).

ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئًا، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: . . . وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده، ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل إلى كل منهما، ولولاه لما كان بينهما اتفاق[1].

إن شخصية عمرو ﷺ الحقيقية أنه رجل مبادئ، غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاءً مُرًّا حين قُتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان من غير ولاية، ومضى إلى معاوية ﷺ، يتعاونان معًا على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد[2]، لقد كان مقتل عثمان كافيًا لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرءوا على حرم رسول الله، وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟

وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمرًا همُّه السلطة والحكم[3].

ثالثًا: نص وثيقة التحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

١- هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٢- قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

٣- إنا تراضينا أن نقف عند حُكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

٤- وإن عليًا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكمًا، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظرًا وحاكمًا.

٥- على أن عليًا ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إمامًا، ولا يَعْدُوَا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه

(١) عمرو بن العاص للعقاد، ص (٢٣١، ٢٣٢).
(٢) عمرو بن العاص للغضبان، ص (٤٨٩، ٤٩٠).
(٣) عمرو بن العاص للغضبان، ص (٤٩٢).

مسطورًا، وما لم يجدا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يعتمدان لها خلافًا، ولا يبغيان فيها بشبهة.

٦- وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقضا ذلك، ولا يخالفاه إلى غيره.

٧- وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، ما لم يَعْدُوَا الحق، رضي به راضٍ أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

٨- فإن تُوفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلًا من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

٩- وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلًا يرضون عدله.

١٠- وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

١١- وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى به شهيدًا، فإن خالفا وتعديا، فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

١٢- والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

١٣- وللحَكَمَيْنِ أن ينزلا منزلًا متوسطًا عدلًا بين أهل العراق والشام.

١٤- ولا يحضرهما فيه إلا من أحبَّا عن تراضٍ منهما.

١٥- والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخَّراها.

١٦- فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل؛ فالفريقان على أمرهما الأول في الحرب.

١٧- وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعًا يد واحدة على ما أراد في هذا الأمر إلحادًا أو ظلمًا أو خلافًا.

وشهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن القيس

الهمداني، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية الكندي، ومالك بن كعب الهمداني، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية.

ومن أهل الشام: حبيب بن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطأة القرشي، ومعاوية بن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسي، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسي، ومسروق بن جبلة العكي، وبسر بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر القرشي، وعتبة بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، ومسعدة بن عمرو العتبي، والصباح بن جلهمة الحميري، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة بن حكم. كُتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين[١].

رابعًا: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل في سياقها، ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها، وقلما تجد أحدًا وقف عندها فاحصًا محققًا، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالًا وإن كان غير مفصل، وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص؛ إذ إن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي باطلة من عدة وجوه[٢]:

١- **أن جميع طرقها ضعيفة**، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلًا قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حكَّموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص؛ فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن، ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح.

---

(١) انظر: الوثائق السياسية، ص (٥٣٨، ٥٣٧) الأخبار الطوال للدينوري، ص (١٩٦-١٩٩) أنساب الأشراف (١/ ٣٨٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٥، ٦٦٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٤).

فلما انصرف علي خالفت الحرورية وخرجت -وكان ذلك أول ما ظهرت- فآذنوه بالحرب، وردوا عليه: أن حَكَّمَ بني آدم في حكم الله عز وجل، وقالوا: لا حكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهما في رجال كثير، ووافى معاوية بأهل الشام، وأبى علي وأهل العراق أن يوافوا.

فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحدًا من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحدًا يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما، فدخل عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة، فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة؟ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار.

فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو، فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأيًا، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد.

فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسى.

قال عمرو: يا أبا موسى، أأنت على أن نسمي رجلًا يلي أمر هذه الأمة؟ فسمِّه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك عليَّ أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني، قال أبو موسى: أسمي لك معاوية بن أبي سفيان، فلم يبرحا مجلسهما حتى استبَّا، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو ومثل الذين قال الله عز وجل: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥].

فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة: ٥]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار[1]. والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة[2]، كما قرر العلماء.

---

(١) المصنف (٥/٤٦٣) مرويات تاريخ الطبري، ص (٤٠٦).

(٢) المراسيل لأبي حاتم، ص (٣) الجرح والتعديل (١/٢٤٦).

وهناك طريق أخرى أخرجها ابن عساكر بسنده إلى الزهري وهي مرسلة، وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يضع الحديث[١]، وفي سنده أيضًا الواقدي، وهو متروك[٢]، وهذا نصها: ... رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابًا على أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكَّموا حكمين ينظران في أمور الناس فيرضون بحكمهما، فحكَّم علي أبا موسى الأشعري، وحكَّم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس، فرجع علي إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كانوا معه، وأنكروا تحكيمه، وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه.

ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدَّم أبا موسى فتكلم وخلع عليًا ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع عليًا وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما، وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين[٣].

وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى، ضعيف ليس بثقة[٤]، وإخباري تالف غالٍ في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان ضعيفًا[٥]، وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيى القطان يضعفه[٦]، وقال عثمان الدارمي: ضعيف[٧]، وقال النسائي: ضعيف[٨].

هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفمثل هذا تقوم به حجة، أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة؟ ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطرابات في متونها لكفاها ضعفًا، فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها[٩].

٢- أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها[١٠].

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/٢٧) مرويات تاريخ الطبري، ص (٤٠٦).
(٢) مرويات تاريخ الطبري، ص (٤٠٦).
(٣) تاريخ دمشق (١٦/٥٣).
(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢٢٣).
(٥) مرويات أبي مخنف، ص (٤٠٧).
(٦) التاريخ الكبير (٤/٢/٢٦٧) الجرح والتعديل (٩/١٣٨).
(٧) التاريخ للدارمي، ص (٢٣٨) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٣).
(٨) الضعفاء والمتروكون، ص (٢٥٣).
(٩) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٨).
(١٠) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٨).

٣- وردت رواية تنقض تلك الروايات تمامًا، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولًا عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره، فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه، كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعتُ أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه من النفر الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغنِ عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما[1].

وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر، وخوفه من الأحداث بعدهما، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما، لقد غُبنا وأخطآ أو نقص رأيهما، ووالله ما كانا مغبونين ولا مخطئين ولا ناقصي الرأي، ووالله ما جاءنا الوهم والضعف إلا من قِبلنا[2].

٤- إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منه، فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد[3] عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا في الخلافة، أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا، وأنا ابن عمه ووليه أطالب بدمه؟ فَأتوا عليًا فقولوا له: يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له، فَأتوا عليًا فكلموه فلم يدفعهم إليه[4].

فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية، رضي الله عنهما؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله[5]، ويقول ابن حزم في هذا الصدد بأن عليًا قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان، والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك، وأصاب في هذا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط[6].

وفهم الخلاف على هذه الصورة -وهي صورته الحقيقية- بيّن إلى أي مدى تخطئ الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كانا مفوضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما؛ وإنما كان حول

---

(١) التاريخ الكبير (٥/ ٣٩٨).
(٢) العواصم من القواصم، ص (١٧٨-١٨٠).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٨٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٠).
(٥) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (٤٠٩).
(٦) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٦٠).

توقيع القصاص على قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قرارًا في شأن الخلافة -كما تزعم الرواية الشائعة- فمعنى ذلك أنهما لم يفضا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جدًّا (١).

٥- **إن الشروط التي يجب توافرها في الخليفة هي العدالة والعلم،** والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون قرشيًّا (٢)، وقد توافرت هذه الشروط في علي ﷺ، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة -ولا شك في ذلك- وقد بايعه المهاجرون والأنصار؛ أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك، فقول معاوية السابق يدل عليه بأن «الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلًا باتفاق الأئمة، فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار؛ لما استتب للإمام طاعة، ولما استمرت له قدرة واستطاعة، ولَمَا صح لمنصب الإمام معنى» (٣).

وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات؛ كل مَنْ لم يرض بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا مَنْ عقده، وهم أهل الحل والعقد، وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي ﷺ فعل ذلك؟ واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال: إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مات ﷺ شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر والتقوى والخير (٤).

٦- **إن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة،** وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة؟! لا شك أن الأحوال ستزداد سوءًا، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا؛ ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلًا ونقلًا.

٧- **إن عمر بن الخطاب ﷺ حصر الخلافة في أهل الشورى،** وهم الستة، وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذنًا في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد، ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص، وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية والإمارة، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان، فكيف يُتخطى بالأمر إلى غيره؟ (٥).

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٢٥).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي، الأحكام السلطانية لأبي يعلى، ص (٢٠) غياث الأمم، ص (٧٩) وما بعدها.

(٣) غياث الأمم، ص (١٢٨) مرويات أبي مخنف، ص (٤١٠).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٣٨).

(٥) مرويات أبي مخنف، ص (٤١١).

٨- **أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم**، والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم، فالحكمان لم يتفقا، ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي (١) -أعلم الناس بأمر الشام (٢)- أنه قال: كان علي بالعراق يُدعى أمير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دُعي معاوية بالشام أمير المؤمنين (٣).

فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي، وإلى هذا ذهب الطبري فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء (٤)، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع (٥)، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفئًا لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة، مع إمكان استخلاف علي ﷺ، فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله -كانت عندهم ظاهرة ومعروفة، كفضل إخوانه: أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم ﷺ (٦).

وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**» (٧)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة (٨) ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك (٩).

٩- **أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال**: دخلت على حفصة، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء، فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية، فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن الحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان، قال حبيب: حفظت وعصمت (١٠).

هذا الحديث قد يفهم منه مباعية معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي ﷺ معاوية ﷺ.

---

(١) سعيد بن عبد العزيز التنوخي، ثقة إمام، التقريب.
(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠).
(٣) تاريخ الطبري (٦/ ٧٦).
(٤) تاريخ الطبري (٦/ ٧٦).
(٥) البداية والنهاية (٨/ ١٦).
(٦) الفتاوى (٣٥/ ٧٣).
(٧) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٨) سنن البيهقي (٨/ ١٤٤).
(٩) مرويات أبي مخنف، ص (٤١٢).
(١٠) البخاري (٥/ ٤٨).

وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده. ويرى ابن حجر في التحكيم[(١)]: دلالة النص على القولين الأولين أقوى. فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم... دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف[(٢)].

١٠- **حقيقة قرار التحكيم:** ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة وإلى أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعيًا للخلافة، ولا منكرًا حق علي فيها -كما تقرر سابقًا- وإنما كان ممتنعًا عن بيعته، وعن تنفيذ أوامره في الشام؛ حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بقي واليًا فيها زهاء عشرين سنة[(٣)].

وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين: قال أبو بكر محمد الطيب الأشعري -الباقلاني- في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلعه -علي بن أبي طالب- وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطا في الموافقة بينهما، أو إلى أن يُبيِّنا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة.

ونص كتاب علي ﷺ اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته، لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما... والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده في جهاد المشركين وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة[(٤)].

١١- **مكان انعقاد المؤتمر:** كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين -كما جاء في الوثيقة- في رمضان في عام (٣٧هـ) إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام، وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل[(٥)]، وفي روايات موثقة: وأذرح[(٦)]، وفي روايات أخرى دونها في الإتقان، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثرًا في اختلاف الروايات؛ إذ يقول

---

(١) فتح الباري (٧/ ٤٦٦).

(٢) مرويات أبي مخنف.

(٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٣٤).

(٤) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ص (١٧٧).

(٥) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.

(٦) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء.

خليفة بن خياط[١]: ويقال بأذرح وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق[٢].

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح، واستدل على ذلك ببعض روايات لم يُبَيِّنها، وبالأشعار، وبخاصة بشعر ذي الرمة[٣] في مدح بلال بن أبي بردة[٤] وهو قوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما تشاءوا وبيت الدين منقلع الكسر
فشد إصار الدين أيام أذرح ورد حروبًا قد لقحن إلى عقر[٥]

١٢- هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟ اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين؛ وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم.

ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته، وأفضل هؤلاء: سعد بن أبي وقاص ﷺ، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك، ولا همَّ به[٦]، فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجًا من المدينة فلما أتاه قال: يا أبة، أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي»[٧].

خامسًا: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية، وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعًا مسئولياتهم، ومن ورائهم الأمة الإسلامية التي يحكمونها في الضغط الجاد الصادق على الطرفين المتنازعين؛ لكي يوقفا بينهما القتال، ويلجآ إلى التحكيم الشرعي في الإسلام، فيرسل هذا الطرف حكمًا من قِبله، وذلك حكمًا آخر من قِبله أيضًا، للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

---

(١) تاريخ خليفة، ص (١٩٢، ١٩١).
(٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٢٦٧).
(٣) ذو الرمة: غيلان بن عقبة توفي (١١٧هـ) سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٧).
(٤) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، تهذيب تاريخ دمشق (٣/٣٢١).
(٥) ديوان ذي الرمة، ص (٣٦٢، ٣٦١) نقلًا عن خلافة علي، ص (٢٧٢).
(٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص (٢٧٢).
(٧) المسند (١/١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣/٢٦) خلافة علي بن أبي طالب للسلمي، ص (١٠٧).

١- تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لا بد منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

٢- جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والحلول التي تفصل في مسائل النزاع.

٣- أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام، وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الراهن على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضا بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعًا.

٤- إذا أصدر الحكمان ما اتفقا عليه من أحكام وحلول، وانقاد لها الطرفان المتنازعان قضي الأمر، وكفى الله المؤمنين القتال.

٥- إذا رفض أحد الطرفين أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكمين، اعتبر الطرف الرافض هو الطرف الباغي؛ سواء صدر الرفض من أحدهما أو من كليهما، ووجب شرعًا على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم.

٦- ويكون من صلاحيات الحكمين بالاتفاق إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه [1].

ولعل اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار -كفيل بسد الطريق على أية قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين بحجة أنَّ بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل.. ومن ثم تستغل هذه الفرصة؛ لكي تتآمر على المسلمين، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحل الذي يحلو لها، ويكون فيه مصلحتها فقط، وليعاني المسلمون بعدئذ من آثار ذلك الحل أسوأ مما كانوا يعانون من فتنة النزاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهمها في شيء، لا، بل إن هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحل المشئوم.

قلنا: لعل اللجوء إلى التحكيم -على نحو ما سلف بيانه- يسد الطريق في وجه تلك القوى الخارجية التي تبغي في صفوف المسلمين الفساد، هذا وإن الصفة الإلزامية شرعًا للحل عن

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/ ١٦٦٥).

طريق التحكيم -الذي عرضناه- تستند إلى إجماع الصحابة، فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية على اللجوء إلى التحكيم، والقبول به.. سواء في ذلك الصحابة الذين كانوا مع علي، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين؛ كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وغيرهما ﷺ أجمعين[١].

سادسًا: موقف أهل السنة من تلك الحروب

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام ﷺ -هو الإمساك عما شجر بينهم، إلا فيما يليق بهم ﷺ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين، وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويرضى عنهم ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوِّز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم.

وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبيِّن موقفهم فيما شجر بين الصحابة، أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال بما وصفوا به فيها، وتلك النصوص هي[٢]:

١- قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩]

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال؛ لأنهم إخوة، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان؛ حيث سماهم الله عز وجل مؤمنين، وأمر بالإصلاح بينهم، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين، ولم يخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانًا حقيقيًا، ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال؛ لأنه كان عن اجتهاد[٣].

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/١٦٦٥).

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/٧٢٧) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، ص (٤١).

(٣) العواصم من القواصم، ص (١٦٩، ١٧٠) أحكام القرآن (٤/١٧١٧).

٢- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[(١)]، والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية ﷺ، وقد وصف ﷺ الطائفتين معًا بأنهما مسلمتان، وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث عَلَم من أعلام النبوة؛ إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليًّا هو المصيب، وإن كان معاوية مجتهدًا، وهو مأجور-إن شاء الله- ولكن عليًّا هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[(٢)].

٣- وعن أبي بكرة قال: بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: «**ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[(٣)]، ففي هذا الحديث شهادة النبي ﷺ بإسلام الطائفتين: أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه ردٌّ واضح على الخوارج الذين كفروا عليًّا ومن معه، ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام؛ ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله: «**فئتين من المسلمين**» يعجبنا جدًّا، قال البيهقي: وإنما أعجبهم؛ لأن النبي ﷺ سماهم جميعًا مسلمين، وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان[(٤)].

فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي، وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان، وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم من أمته[(٥)]، كما وصفهم بأنهم جميعًا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه، كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان، ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩]

وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم ﷺ أجمعين، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم؛ بل هم مجتهدون متأولون، وقد بيَّن الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب ﷺ كما مر معنا.

فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام ﷺ مسلك أهل السنة والجماعة؛ وهو الإمساك عما حصل بينهم ﷺ، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق

---

(١) مسلم (٧٤٥).
(٢) البخاري مع شرحه في فتح الباري (١٣/ ٣١٨).
(٣) البخاري، كتاب: الفتن، رقم (٧١٠٩).
(٤) الاعتقاد للبيهقي، ص (١٩٨) فتح الباري (١٣/ ٦٦).
(٥) في صحيح مسلم (٢/ ٧٤٦): «تكون في أمتي فرقتان».

بمقامهم، وكُتب أهل السنة مليئة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها[١]:

١- سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة، فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها، أفلا أطهر منها لساني، مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها [٢].

قال البيهقي معلقًا على قول عمر بن عبد العزيز، رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل؛ لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب [٣].

٢- سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا [٤].

ومعنى قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيًا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل؛ إذ كانوا غير متهمين في الدين [٥].

٣- سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢][٦].

قال الإمام أحمد رحمه الله، بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلى الحسنى [٧].

وعن إبراهيم بن آرز الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية، فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: ١٤١]

٤- وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله ﷺ، وما ينبغي أن يذكروا به، فقال: وألا يُذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب [٨].

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/٧٤٦) «تكون في أمتي فرقتان».
(٢) الإنصاف للباقلاني، ص (٦٩) الطبقات (٥/٣٩٤).
(٣) مناقب الشافعي، ص (١٣٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٣٢).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٣٢).
(٦) الإنصاف للباقلاني، ص (٦).
(٧) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص (١٦٤).
(٨) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني، ص (٢٣).

٥- وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والعقيدة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم[١].

٦- قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يُعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم من المشاجرة نكف عنه، ونترحم على الجميع، ونثني عليهم، ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن عليًّا رضي الله عنه أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد، فلهم الأجر، ولا يفسقون ولا يبدعون، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝﴾ [الفتح: ١٨]، وقوله ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر».

فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده، فما ظنك باجتهاد مَنْ رضي الله عنهم ورضوا عنه؟! ويدل على صحة هذا القول قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٢]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين، وحكم لهما بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝﴾ [الحجر: ٤٧] إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه[٣].

٧- وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم، منها ما هو زِيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون[٤].

٨- وقال ابن كثير: أما ما شَجَرَ بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ، ومأجور أيضًا: وأما المصيب فله أجران[٥].

---

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ص (٢٦٨).
(٢) البخاري، الفتن، رقم (٧١٠٩).
(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص (٦٧-٦٩).
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الباعث الحثيث، ص (١٨٢).

٩- وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين[١].

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة ﷺ، بعد قتل عثمان والترحم عليهم، وحفظ فضائل الصحابة، والاعتراف لهم بسوابقهم، ونشر محاسنهم ﷺ وأرضاهم[٢].

سابعًا: التحذير من بعض الكتب التي شوَّهت تاريخ الصحابة

١- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه «الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي» مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبًا وزورًا، ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابًا في التاريخ يدعى «الإمامة والسياسة»، ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب «المعارف».

- إن المتصفح للكتاب يشعر بأن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف في «الإمامة والسياسة» يختلف تمامًا عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فابن قتيبة يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبيِّن فيها منهجه والغرض من مؤلَّفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب «الإمامة والسياسة» فمقدمته قصيرة جدًّا لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، قاضي الكوفة، توفي سنة (١٤٨هـ)، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة (٢١٣هـ) أي: بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عامًا.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٤).
(٢) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٤٠).

- إن قسمًا كبيرًا من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرًا ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة، ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة، ولم ترد في كتاب من كتبه.

- إن مؤلف «الإمامة والسياسة» يروي عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر، ولا أخذ عن هذين العَالِمَين(١).

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء؛ فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة(٢)، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب «الإمامة والسياسة» الذي شوَّه التاريخ، وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم؟!(٣)

يقول الدكتور علي نفيع العلياني في كتابه «عقيدة الإمام ابن قتيبة عن كتاب الإمامة والسياسة»: وبعد قراءتي لكتاب «الإمامة والسياسة» قراءة فاحصة ترجح عندي أن مؤلف الإمامة والسياسة رافضي خبيث، أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة؛ نظرًا لكثرتها، ونظرًا لكونه معروفًا عند الناس بانتصاره لأهل الحديث، وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب(٤)، ومما يرجح أن مؤلف الإمامة والسياسة من الروافض ما يلي:

* إن مؤلف الإمامة والسياسة ذكر على لسان علي ﷺ أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به؛ لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم... والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله . ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

* إن مؤلف الإمامة والسياسة قدح في صحابة رسول الله قدحًا عظيمًا؛ فصور ابن عمر ﷺ جبانًا، وسعد بن أبي وقاص حسودًا، وذكر محمد بن مسلمة غَضِب على علي بن أبي طالب؛ لأنه قتل مرحبًا اليهودي بخيبر، وأن عائشة ﷺ أمرت بقتل عثمان(٦)، والقدح في الصحابة من

عقيدة الإمام ابن قتيبة، علي العلياني، ص (٩٠).
لسان الميزان (٣/ ٣٥٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).
(٤) الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٣٩١).
(٥) الإمامة والسياسة (١/ ١٢).
(٦) الإمامة والسياسة (١/ ٥٤، ٥٥).

أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج، إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة(١).

* إن مؤلف الإمامة والسياسة يذكر أن المختار بن أبي عبيد قُتل من قِبل مصعب بن الزبير؛ لكونه دعا إلا آل رسول الله ﷺ، ولم يذكر خرافاته وادعاءه الوحي(٢)، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد؛ لكونه انتقم من قتلة الحسين، مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان، وبيَّن أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه(٣).

* إن مؤلف الإمامة والسياسة كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان خمسًا وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتي صفحة، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق، وسوَّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة، نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

* يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنا عشرية: ومن مكايدهم - يعني: الرافضة- أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته؛ كالسدي فإنهما رجلان؛ أحدهما: السدي الكبير والثاني: السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غالٍ، وعبد الله بن قتيبة رافضي غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتابًا سماه بالمعارف، فصنف ذلك الرافضي كتابًا سماه بالمعارف أيضًا قصدًا للإضلال(٤).

وهذا مما يرجح أن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة الرافضي، وليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما؛ لتشابه الأسماء(٥)، والله أعلم.

٢- نهج البلاغة: ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب نهج البلاغة؛ فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جُمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف قرن بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي، وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصًا فيما يوافق بدعته، فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم -عند المحدثين- فهو أخوه علي(٦)، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩١) للعلياني.
(٢) الإمامة والسياسة (٢/ ٢٠).
(٣) المعارف، ص (٤٠١).
(٤) مختصر التحفة الاثنا عشرية للألوسي، ص (٣٢).
(٥) عقيدة الإمام ابن قتيبة، ص (٩٣).
(٦) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (٥٣).

- قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضي: وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه، أم جَمْع أخيه الرضي؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم[١].

- وقال الذهبي: من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح، والحط على السيدين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة، والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل[٢].

- وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي؛ ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم، ولا لها إسناد معروف[٣].

- وأما ابن حجر فيتهم الشريف المرتضي بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي... وأكثره باطل[٤].

واستنادًا إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي رضي الله عنه[٥].

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامى والمحدثون على «نهج البلاغة» للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

* خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه؛ متنًا ورواية وسندًا.

* كثرة الخطب وطولها؛ لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين، مع أن خطب الرسول ﷺ لم تصل إلينا سالمة وكاملة، مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

* رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

* اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عُرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ«الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه عن التقشف والزهد.

---

(١) الوفيات (٣/ ١٢٤).
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤).
(٣) منهاج السنة (٤/ ٢٤).
(٤) لسان الميزان (٤/ ٢٢٣).
(٥) الأدب الإسلامي، نايف معروف، ص (٥٣).

* شيوع السجع فيه؛ إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذي عرف به عصر الإمام علي ﷺ، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيدًا عن روحه ومبناه.

* الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وش العصر العباسي وزخرفه، ما نجده في وصف الطاووس والخفاش، والنحل والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.

* الصيغ الفلسفية الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين(١).

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة فلا مانع من الاستئناس به، وما خالف فلا يلتفت إليه.

٣- **كتاب الأغاني للأصفهاني**: يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك أن يسكت عما وَرَدَ فيه من الشعوبية والدس، والكذب الفاضح، والطعن والمعايب، وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سماه «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني»، فقد شمر -جزاه الله خيرًا- عن ساعد الجد؛ لِيَمِيزَ الهزل من الجد، والسم من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد، وهي تغلي في الصدور كغلي القدور.

وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف، وتجرح سيرتهم، وتشوّه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات، وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيم (الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب، والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل(٢).

ولقد تحدَّث العلماء فيه قديمًا:

- قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئًا كثيرًا من الصحف، ثم تكون كل روايته منها(٣).

---

(١) الأدب الإسلامي، ص (٥٤، ٥٥).
(٢) السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي، ص (٩-١٤).
(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٨).

- قال ابن الجوزي: ومثله لا يوثق بروايته، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر[١].
قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعفه، ويتهمه في نقله، ويستهول ما يأتي به[٢].

٤- تاريخ اليعقوبي (ت٢٩٠هـ): هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي من أهل بغداد، مؤرخ شيعي إمامي، كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي، وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية، فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويُسمِّي عليًا بالوصي، وعندما أرَّخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافة، وإنما قال: تولى الأمر فلان، ثم لم يترك واحدًا منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة، فقد ذكر عن عائشة ﵂ أخبارًا سيئة[٣]، وكذلك عن خالد بن الوليد[٤]، وعمرو بن العاص[٥]، ومعاوية بن أبي سفيان[٦].

وعرض خبر السقيفة عرضًا مشينًا[٧] ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره، وطريقته في سياق الاتهامات -الباطلة- هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض، وهي إما اختلاق الخبر بالكلية[٨]، أو التزيد في الخبر[٩] والإضافة عليه، أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى ينحرف معناه، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك، وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه البلدان باسم الدولة المباركة[١٠]؛ مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية.

وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابة التاريخ الإسلامي، وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين، الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية؛ إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية، كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي[١١].

٥- المسعودي (ت٣٤٥هـ) كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر: هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ولد عبد الله بن مسعود ﵁[١٢]، وقيل: إنه كان رجلًا من أهل

(١) المنتظم (٧/ ٤٠، ٤١).
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣).
(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٨٠-١٨٣).
(٤) المصدر نفسه (٢/ ١٣١).
(٥) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).
(٦) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٢-٢٣٨).
(٧) المصدر نفسه (٢/ ١٢٣-١٢٦).
(٨) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص(٤٣١).
(٩) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص(٤٣١).
(١٠) كتاب البلدان لليعقوبي، ص (٤٣٢).
(١١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص (٤٣٢).
(١٢) الفهرست لابن النديم، ص (١٧١) سير أعلام النبلاء.

المغرب[١]، ولكن يرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها[٢]، وإن قصد ببلاد المغرب عكس المشرق فمصر من بلاد المغرب الإسلامي فلا إشكال[٣]، والمسعودي رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعيًا معتزليًّا[٤].

وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار، فقد رأى الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص[٥]، وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب ﷺ في كتابه مروج الذهب اهتمامًا كبيرًا أكثر من اهتمامه بحياة رسول الله ﷺ في الكتاب المذكور[٦]، وركز اهتمامه بالبيت العلوي، وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه مروج الذهب[٧]، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذِّر منها، والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين؛ كطه حسين «الفتنة الكبرى.. علي وبنوه» والعقاد في «العبقريات» فقد تورطا في الروايات الموضوعة والضعيفة، وقامت تحليلاتهما عليها، وبالتالي لم يحالفهما الصواب، ووقعا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة ﷺ، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه «الخلفاء الراشدون» حيث نقل نصوصًا من روايات الرافضة من كتاب «الإمامة والسياسة»، وحسن إبراهيم حسن في كتابه «عمرو بن العاص» حيث قرر من خلال الروايات الرافضية الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل مصالح ومطامع، ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا[٨]، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال، فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامنًا: الاستشراق والتاريخ الإسلامي

إن من أعظم الفرق أثرًا في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طوائفها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهورًا، ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي، ومنهج فكري منحرف، وهم أكثر الطوائف كذبًا على خصومهم، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة -كما سيأتي معنا- فسب

---

(١) الفهرست، ص (١١٧).
(٢) معجم الأدباء (١٣/ ٩١-٩٣).
(٣) منهج المسعودي في كتابة التاريخ، ص (٤٤) أثر التشيع، ص (٢٤٣).
(٤) لسان الميزان (٤/ ٢٢٥) أثر التشيع، ص (٢٤٦).
(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر (١/ ٣٨).
(٦) أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص (٢٤٨).
(٧) أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص (٢٤٨).
(٨) تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم، ص (٢٠٦، ٢٠٧).

الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدهم وأركانه، خاصة الشيخين: أبا بكر وعمر، ويسمونهما الجبت والطاغوت[1].

وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم، وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية، والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة، أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل؛ وهو ميزان التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القُصَّاص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وانحراف طائفة منهم تبتغي العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعة، فتلقفها هؤلاء القُصاص دون وعي وإدراك، ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام؛ مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم.

وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات؛ فبينوا الزائف من الصحيح، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها، وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء، وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها -جهد كبير وموفق.

ومن أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية، ورد زيف الروايات المكذوبة: القاضي ابن العربي في كتاب «العواصم من القواصم»، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله، خاصة كتابه القيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب «سير أعلام النبلاء» و«تاريخ الإسلام» و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه «البداية والنهاية»، وأيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» و«لسان الميزان» و«تهذيب التهذيب» و«الإصابة في معرفة الصحابة».

أما الوسائل التي أُستخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية، وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين -فهي كثيرة، ونذكر منها:

(١) الشيعة والسنة، ص (٣٢) إحسان إلهي ظهير.

- الاختلاق والكذب.

- الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها؛ حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.

- وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده، والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.

- إبراز المثالب والأخطاء، وإخفاء الحقائق المستقيمة.

- صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدُّعاة؛ لأن الشعر العربي يُنظر له كوثيقة تاريخية، ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

- وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت الرافضة كتاب «الإمامة والسياسة» الذي نسبته إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به، كما مرَّ معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكُتَّابه من المستشرقين والمُنصِّرين -إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية- فوجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها، والتركيز عليها، مع ما زادوه من عندهم -بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين- من الكذب مثل: اختراع حوادث لا أصل لها، أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشوية، أو التفسير الخاطئ تبعًا للتصور والاعتقاد الذي يدينون به.

ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث، وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين؛ فكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال؛ وذلك أنهم ادعوا -كأساتذتهم- اتباع الروح العلمية المتجردة، والمنهج العلمي في البحث.

والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها، ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه [١] -فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية مثل: الحواشي، وترتيب المراجع وما شابهها، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم [٢].

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل، ص (٥٠٢).
(٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل، ص (٥٠٢).

يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة بماضي العروبة والإسلام؛ جريًا وراء المستشرقين في ارتيابهم؛ حيث تحس الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم الدلائل عليه[1].

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي:

(أ) التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه، وحسبما يجول بخواطرهم، دون أن يحققوا -أولًا- الواقعة التاريخية حتى تثبت، ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة، وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة لابد من ثبوت وقوعها، وليس وجودها في كتاب من الكتب كافيًا لثبوتها[2]؛ لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث في تفسير الواقعة التاريخية.

كما ينبغي أن يكون التفسير متمشيًا مع منطوق الخبر التاريخي، وموضوع البحث، ومع الطابع العام للمجتمع، أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة، كما يشترط ألا يكون هذا التفسير متعارضًا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد -كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة- وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحديث، وخاصة العوامل العقدية والفكرية.

ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهادًا بشريًا يحتمل الصواب والخطأ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها، فالقرامطة والإسماعيلية، والرافضة الإمامية، والفاطمية، والزنج، وإخوان الصفا، والخوارج كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة، وثورتهم كانت ثورات لإصلاح الظلم والجور.

فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة -أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام، فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل

---

(١) المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة الأزهر سنة (١٣٧٤هـ). (٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص (٥٠٤).

جهد مستطاع ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، ولا يُتوقع من مطموسي الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال، ولكن الأمر الذي قد يحدث استغرابًا عند البعض أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق كُتَّاب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء المسلمين، ويقومون بنشر مثل هذه السموم علي بني جلدتهم؛ ليصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقيم.

ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة، والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة، فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي، مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها.

لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي -خاصة تاريخ الصدر الأول- بالتشويه عن طريق اختيار موافف مختارة والتركيز عليها؛ كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها؛ حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة ﷺ، وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر، وبالتجهيل: وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة، وبالتشكيك: وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم، والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة: وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها؛ كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي، ومحو معالمه النيرة، وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة.

لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها، ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم ومناهجهم، وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد، فإذا كان علماؤنا -رحمهم الله- قد نقدوا كثيرًا من الرواة، وضعفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الإسرائيليات، فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات مَنْ يتلقى من المستشرقين، بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح [1].

* * *

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ص (٥٠٧).



المراجع

١- الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، عرض ونقد د/ ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة بمصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣- سنن سعيد بن منصور، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٤- مسند الدارمي، لأبي محمد عبد الله الدارمي، دار المغني، الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

٥- الموسوعة الحديثية، السنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

٦- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٧- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى. ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون.

١٠- سورة الحجرات، د/ ناصر العمر، دار الصديق، صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.

١١- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، عبدو الحاج محمد الحريري، رسالة مُقدَّمة لجامعة بغداد.

١٢- الإمام علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطنيها العلماء من غير أهلها ووارديها، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠١م.

١٤- خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عبد الحميد علي ناصر فقيهي، رسالة علمية قُدِّمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لم تُطبع حتى الآن أشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري.

١٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٦- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دار الريان، ١٩٩٨م.

١٧- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، المدينة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

١٨- الصحيح المسند في فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوي، دار ابن عفَّان، السعودية، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

١٩- دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د/ محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان، عمان.

٢٠- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢١- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، دار طويق الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٢٢- الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٣- الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، د/ حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، بيروت -لبنان.

٢٤- الطبقات لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٢٥- عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة الكرام، د/ ناصر علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.

٢٦- بيعة علي بن أبي طالب، أم مالك الخالدين، حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الثالثة، عمان.

٢٧- تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، محمد أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي.

٢٨- فتح الباري، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

٢٩- المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد محمد حسن شُرَّاب، دار القلم - بيروت، الدراسات الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٣٠- تاريخ الطبري لأبي جعفر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٣٠- استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، دراسة نقدية د/ خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤١٨هـ.

٣٢- سنن أبي داود، الإمام أبي داود، سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق عزت الدعاس ١٣٩١هـ، سوريا.

٣٣- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.

٣٤- سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر ١٣٩٨هـ.

٣٥- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الفكر بيروت.

٣٦- الإحسان في صحيح ابن حبَّان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٣٧- السلسلة الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي.

٣٨- معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٩- السُّنَّة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٠- شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، خَرَّج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.

٤١- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر ١٩٩١م.

٤٢- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٤٣- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر الشريف الطبعة الأولى، ١٣٤٧ هـ.

٤٤- مجموعة الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العُبيكان بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م.

٤٥- المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، طبع الدار السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، بومباي الهند.

٤٦- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٤٧- العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، إعداد محمد بن سعيد مبيض، دار الثقافة، قطر الدوحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٤٨- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، تأليف د/ محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.

٤٩- الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية، ١٩٧٥م.

٥٠- المقدمة لابن خلدون.

٥١- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ.

٥٢- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د/ عبد الرحمن الشجاع، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م، دار الفكر المعاصر - صنعاء.

٥٣- عبقرية الإمام، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية - بيروت.

٥٤- علي بن أبي طالب، خالد البيطار.

٥٥- علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م.

٥٦- الأدب الإسلامي في عهد النبوة، نايف معروف، دار النفائس، بيروت، لبنان.

٥٧- المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن بن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م.

٥٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

٥٩- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٦٠- صحيح سنن ابن ماجه للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

٦١- صحيح النسائي للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٠٨ هـ.

٦٢- مشكاة المصابيح للألباني.

٦٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٤- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠/ ١٩٩٩ م.

٦٥- مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٣٦٨ هـ.

٦٧- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، دار بيروت، لبنان.

٦٨- تاريخ الخلفاء للسيوطي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

٦٩- التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر، د/ عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.

٧٠- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني، المعروف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٩م.

٧١- صحيح التوثيق في سيرة علي بن أبي طالب، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م.

٧٢- الإمام علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

٧٣- الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

٧٤- أصحاب الرسول، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٧٥- تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

٧٦- الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم، مكتبة وهبة.

٧٧- النظام السياسي في الإسلام، د/ محمد أبو فاس، دار الفرقان، عمّان، الأردن.

٧٨- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماس القاهرة.

٧٩- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النيسابوري بذيله التلخيص للذهبي، طبعة ١٣٩٠ هـ -/ ١٩٧٠م، دار الفكر.

٨٠- نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، ١٤٢١ هـ /٢٠٠٠م.

٨١- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي المثنى التميمي، تحقيق وتخريج حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق.

٨٢- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي.

٨٣- المواعظ والاعتبار، أحمد بن علي عبد القادر المقريزي، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ١٩٨٧م.

٨٤- الاعتصام للشاطبي، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعارف، بيروت ١٤٠٢هـ.

٨٥- السيرة النبوية، لابن هشام، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.

٨٦- عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.

٨٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.

٨٨- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م.

٨٩- بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض.

٩٠- ولاية الشرطة في الإسلام، د/ نمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٤ هـ.

٩١- تاريخ خليفة، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، بيروت ١٣٩٧ هـ.
٩٢- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٣- علي بن أبي طالب، د/ علي شرفي، دار الكِنْدي، إربد، الأردن، ٢٠٠١م.
٩٤- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د/ عبد العزيز إبراهيم العمري.
٩٥- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
٩٦- تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، للإمام القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي، مطبوعات جامعة أم القرى.
٩٧- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت.
٩٨- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.
٩٩- معجم الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، الدار العربية، بغداد ١٣٩٨ هـ.
١٠٠- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، عن طبعة حيدر آباد.
١٠١- الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف، د/ حامد محمد الخليفة، مطابع الدوحة المدينة الرياضية عمّان، الأردن، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.
١٠٢- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق د/ علي نويهض، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
١٠٣- تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
١٠٤- الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د/ جمال الدين الشيال، مكتبة المثنى، بغداد.
١٠٥- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
١٠٦- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، علي محمد الصَّلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م.
١٠٧- منهاج السُّنَّة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد، مؤسسة قرطبة.
١٠٨- الثقات، محمد بن حبَّان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم، مكة المكرمة، ١٣٩٣ هـ.
١٠٩- فتنة مقتل عثمان بن عفان، محمد عبد الله الغبان، مكتبة العُبَيكان، ١٤١٩ هـ.
١١٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف عبد الرحمن المزي، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
١١١- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ.
١١٢- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٢ هـ.
١١٣- تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة، د/ محمد عبد الله علي الخضيري، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.
١١٤- الفتنة الكبرى- علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

١١٥- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه د/ محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥م.

١١٦- الأساس في السُّنَّة وفقهها، سعيد حوى، دار السلام، ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩م.

١١٧- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، د/ حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩م.

١١٨- دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، سليمان العودة، رسالة نُشرت على الإنترنت.

١١٩- تذكرة الحُفَّاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث.

١٢٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.

١٢١- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لابن خِلِّكَان، أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

١٢٢- البيان والتبين للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر، ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م.

١٢٣- ميزان الاعتدال للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

١٢٤- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبَّان البستي محمود إبراهيم زيد، دار المعرفة، بيروت.

- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٢٥-رجال الكشي، لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، قَدَّم له وعَلَّق عليه أحمد السيد الحسيني.

١٢٦-عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة، لمحمد علي المعلم.

١٢٧- الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن.

١٢٨- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فولتن، ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م.

١٢٩- العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسيهر، أجناس ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

١٣٠- تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن، رينولد، ترجمة صفاء خلوصي، بغداد، مطبعة المعارف ١٣٨٨ هـ /١٩٦٩م.

١٣١- عقائد الشيعة، رونلدسن، دوايت تعريب (ع م) القاهرة، مكتبة الخانجي.

١٣٢- أصول الإسماعيلية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، بغداد، مكتبة المثنى، ١٣١٧ هـ /١٩٤٧م.

١٣٣- عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م.

١٣٤- الدولة الأموية، يوسف العشي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م.

١٣٥- أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د/ عبد العزيز دخان، رسالة دكتوراه بفاس بالمغرب، لم تُطبع.

١٣٦- التاريخ الكبير للبخاري، مؤسسة الثقافة، بيروت.

١٣٧- دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، أسماء محمد أحمد زيادة، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م.

١٣٨- الإمامة والسياسية، المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
١٣٩- غياث الأمم في التياث الظلم لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى١٤٠٠ هـ.
١٤٠- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د/ سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة البخاري، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م.
١٤١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، مطبعة الشعب.
١٤٢- تقريب التهذيب لابن حجر.
١٤٣- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، الحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني، دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ.
١٤٤- الأنصار في العصر الراشدي، سياسيًا وعسكريًا وفكريًا، د/ حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد لم تُطبع، من صورة مصورة.
١٤٥- العثمانية، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
١٤٦- خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، محمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ /١٩٩٨م.
١٤٧- نسب قريش، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف، القاهرة.
١٤٨- التاريخ الصغير البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، دار المعرفة، بيروت.
١٤٩- أنساب الأشراف، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.
١٥٠- كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي.
١٥٠- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للحافظ أبي عبد الله محمد عثمان الذهبي، مكتبة دار البيان، حققه وعَلّق عليه: محب الدين الخطيب.
١٥١- سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني، دار الراية، الرياض، ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩ م.
١٥٢- أهل الشورى الذين اختارهم عمر ﷺ، رياض العبد الله، دار الرشيد، بيروت دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.
١٥٣- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني.
١٥٤- دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، للأعظمي محمد لقمان الأعظمي الندوي، دار العُبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ /١٩٩٧م.
١٥٥- الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية، البحرين.
١٥٦- فرسان في عصر النبوة، أحمد خليل جمعة، اليمامة، دمشق، ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩م.
١٥٧- تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جيل عبد الله المصري، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.
١٥٨- معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد، منير الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ /١٩٩٦م.

١٥٩-المعرفة والتاريخ، للفسوي، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد بغداد، ١٣٩٤ هـ.

١٦٠- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين د/ حمدي شاهين، دار القاهرة.

١٦١- تهذيب الأسماء واللغات: للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦٢- عمرو بن العاص الأمير المجاهد، د/ منير الغضبان، جامعة أم القرى، ١٤٢٠ هـ.

١٦٣- قصص لا تثبت، سليمان بن صالح الخراشي، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

١٦٤- أبو موسى الأشعري، الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز، دار القلم، دمشق.

١٦٥- أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق.

١٦٦- مناقب عمر لابن الجوزي.

١٦٧- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي، والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

١٦٨- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

١٦٩- السيرة النبوية الصحيحة، د/ أكرم العمري، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة.

١٧٠- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسُّنَّة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق.

١٧١- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبَّان، للألباني، دار الصميعي السعودية.

١٧٢- غزوة الحديبية، لأبي فارس، دار الفرقان، الأردن.

١٧٣- من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

١٧٤- إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.

١٧٥- فتوح الشام، محمد عبد الله الأزدي، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، نشر مؤسسة القاهرة ١٩٧٠م.

١٧٦- سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

١٧٧- عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

١٧٨- عمرو بن العاص، عباس محمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.

١٧٩- المراسيل، لابن أبي حاتم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

١٨٠- التاريخ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.

١٨١- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى محمد بن الحسين تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٨٢- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٨٣- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي، ١٣٨٢هـ.

١٨٤- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: لجنة إحياء التراث، طبع دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
١٨٥- عقيدة الإمام ابن قتيبة، د/ علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق، السعودية.
١٨٦- المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشه، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.
١٨٧- مختصر التحفة الاثنا عشرية، للسيد محمود شكري الألوسي، مكتبة إيشيق - اسطنبول، تركيا، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
١٨٨- السيف اليماني في نحر الأصفهاني، وليد الأعظمي، دار الوفاء، مصر.
١٨٩- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل العلياني السلمي، دار طيبة، الرياض.
١٩٠- أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د/ عبد العزيز محمد نور ولي، دار الخضيري، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م.
١٩١- منهج المسعودي في كتابة التاريخ، سليمان بن عبد الله المديد السويكت.
١٩٢- تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، ١٩٢٢م.
١٩٣- الشيعة والسُّنَّة، إحسان إلهي ظهير.
١٩٤- الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أحمد شاكر، طبع مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ١٣٧٠ هـ.
١٩٥- خلافة علي بن أبي طالب، رتَّبه وهذَّبه، د/ محمد بن صامل السلمي، مستخرج من البداية والنهاية، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م.
١٩٦- السلسلة الضعيفة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢ هـ /٢٠٠٢م.

فهرس